الدعوة في القرآن الكريم

د. بن يحيى الطاهر ناعوس

شبكة الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الدعوة

في القرآن الكريم

د. بن يحيى الطاهر ناعوس

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الدعوة
في القرآن الكريم

المبحث الأول: مفهوم الدعوة:

المطلب الأول: المعنى اللغوي والاصطلاحي.

جاء في المعاجم العربية على أن كلمة (الدعوة) لفظ مشتق من فعل: دعا يدعو دعاء و دعوة، وبهذا فهي تتكون من ثلاثة حروف هي (دعو) حيث أنّ" الدال والعين والحرف المعتل أصل واحد، وهو أن تميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك. تقول: دعوت أدعو دعاء. والدعوة إلى الطعام بالفتح، والدعوة في النسب بالكسر. قال أبو عبيدة: يقال في النسب دعوة، وفي الطعام دعوة"[1].

ويقال: دعاني إلى الإحسان إليك إحسانُك إليّ، أي: دفعني، وفي الحديث: الخلافة في قُرَيْشٍ والحُكْمُ في الأَنْصارِ والدَّعْوة في الحَبَشة؛ أَرادَ بالدعوة الأَذانَ جَعله فيهم تفضيلاً لمؤذِّنِهِ بلالٍ.

والداعية: صريخُ الخيل في الحروب لدعائه مَنْ يَسْتَصْرِخُه. يقال: أَجيبُوا داعيةَ الخيل، وداعية اللَّبَنِ: ما يُترك في الضَّرْع ليَدْعُو ما بعده، ودَعَّى في الضَّرْعِ: أَبْقى فيه داعيةَ اللَّبنِ.

وفي الحديث: أَنه أَمر ضِرارَ بنَ الأَزْوَر أَن يَحْلُبَ ناقةً وقال له دَعْ داعِيَ اللبنِ لا تُجهده أي أَبْقِ في الضرع قليلاً من اللبن ولا تستوعبه كله، فإن الذي تبقيه فيه يَدْعُو ما وراءه من اللبن فيُنْزله، وإذا استُقْصِيَ كلُّ ما في الضرع أَبطأَ دَرُّه على حالبه؛ قال الأَزهري: ومعناه عندي دَعْ ما يكون سَبباً لنزول الدِّرَّة، وذلك أَن الحالبَ إذا ترك في الضرع لأَوْلادِ الحلائبِ لُبَيْنةً تَرضَعُها طابت أَنفُسُها فكان أَسرَع لإفاقتِها.

ودعا الميتَ: نَدَبه كأَنه ناداه.

والتَّدَعِّي: تَطْرِيبُ النائحة في نياحتِها على مَيِّتِها إذا نَدَبَتْ؛ عن اللحياني، والنادبةُ تَدْعُو الميّت إذا نَدَبَتْه، والحمامة تَدْعو إذا ناحَتْ؛ وقول بِشْرٍ: أَجَبْنا بَني سَعْد بن ضَبَّة إذْ دَعَوْا، ولله مَوْلى دَعْوَةٍ لا يُجيبُها يريد: لله وليُّ دَعْوةٍ يُجيب إليها ثم يُدْعى فلا يُجيب؛ وقال النابغة فجعَل صوتَ القطا دعاءً: تَدْعُو قَطاً، وبه تُدْعى إذا نُسِبَتْ، يا صِدْقَها حين تَدْعُوها فتَنْتَسِب أَي صوتُها قَطاً وهي قَطا، ومعنى تدعو تُصوّت قَطَا قَطَا.

---

[1] - مقاييس اللغة، 2/ص280.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ويقال: ما الذي دعاك إلى هذا الأَمْرِ أي ما الذي جَرَّكَ إليه واضْطَرَّك، وجدنا المعنى نفسه في الحديث: لو دُعِيتُ إلى ما دُعِيَ إليه يوسفُ، عليه السلام، لأَجَبْتُ[2]؛ يريد حي دُعِيَ للخروج من الحَبْسِ فلم يَخْرُجْ وقال: ارْجِعْ إلى ربّك فاسْأَلْه؛ يصفه، صلى الله عليه وسلم، بالصبر والثبات أي لو كنت مكانه لخرجت ولم أَلْبَث. قال ابن الأَثير: وهذا من جنس تواضعه في قوله لا تُفَضِّلوني على يونُسَ بنِ مَتَّى.

وفي الحديث: أَنه سَمِع رجُلاً يقول في المَسجدِ من دَعا إلى الجَمَلِ الأَحمر فقال لا وجَدْتَ؛ يريد مَنْ وجَدَه فدَعا إليه صاحِبَه، وإنما دعا عليه لأَنه نهى أَن تُنْشَدَ الضالَّةُ في المسجد.

وإذا حاولنا التدقيق في هذه الكلمة نجد أن لها عدة صيغ منها: الدَعْوَةُ[3] إلى الطعام بالفتح. يقال: كنا في دَعْوَةِ فلان ومَدْعاةِ فلان، وهو في الأصل مصدرٌ، يريدون الدُعَاءَ إلى الطعام.

و منها، أيضا، الدِعْوَةُ بالكسر في النسب، يقال: فلان دَعِيٌّ بيّن الدِعْوَةِ والدَعْوى في النسب، والدَعِيُّ، أيضاً، من تَبَنَّيْتَهُ. قال تعالى: {وما جَعَلَ أدْعِياءَكُمْ أبناءكم}، وادَّعيتُ على فلانٍ كذا، والاسم الدَعْوى، والادِّعاءُ في الحرب: الاعتزاز، وهو أن يقول: أنا فلان بن فلان.

وتَداعَتِ الحِيطانُ للخراب، أي تهادمتْ، والأُدْعِيَةُ مثل الأُحْجِيَّةِ، والمُداعاةُ: المُحاجاةُ، يقال: بينهم أُدْعِيَّةٌ يَتَداعَوْنَ بها، وهي مثل الأغلوطات، حتَّى الألغاز من الشعر أُدْعِيَّةٌ، مثل قول الشاعر:

حسانٌ وما آثارُهـــا بِـــحـــســـانِ = أُداعِيك ما مُسْتَصْحَباتٌ مع السُرى[4]

و زيادة على ما سبق ذكره، فإننا عندما نقول: دَعَوْتُ فلاناً، أي صِحْتُ به واسْتَدْعَيْتُهُ، ودَعَوْتُ الله له وعليه دُعاءً، والدَعْوَةُ المرَّةُ الواحدة؛ والدُعاءُ واحد الأدْعِيَةِ، وأصله دُعاوٌ، وداعِيَة اللبن: ما يترك في الضرع ليَدْعُوَ ما بعده، وفي الحديث: "دَعْ داعِيَ اللبن"[5].

وفي حديث معاذ، رضي الله عنه، لما أَصابَهُ الطاعون قال: لَيْسَ بِرِجْزٍ ولا طاعونٍ ولكنه رَحْمةُ رَبِّكم ودَعوةُ نبيِّكُم، صلى الله عليه وسلم؛ أَراد قوله: اللهم اجعَلْ فَناءَ أُمَّتي بالطَّعْن والطاعونِ، وفي هذا الحديث نَظَر، وذلك أَنه قال لما أَصابَهُ الطاعون فأَثْبَتَ أَنه طاعونٌ، ثم قال: ليسَ برِجْزٍ ولا طاعونٍ فنَفَى أَنه طاعونٌ، ثم فسَّر قوله ولكنَّه رحمةٌ من ربِّكم ودَعوةُ نبِيِّكم فقال أَراد قوله: اللهم اجعَلْ فَناءَ أُمَّتي بالطَّعْن والطاعون، وهذا فيه قَلَق.

---

[2] - النهاية في غريب الحديث والأثر.

[3] - ينظر في الصّحّاح في اللغة، مادة دعا.

[4] -قول الأصمعي، يعني السيوف.

[5] المرجع نفسه.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

و منها كذلك دَعَوْت الله له بخَيْرٍ وعَلَيْه بِشَرٍّ، والدَّعوة: المَرَّة الواحدةَ من الدُّعاء؛ ومنه الحديث: " فإن دَعْوتَهم تُحِيطُ من ورائهم أَي تَحُوطُهم وتكْنُفُهم وتَحْفَظُهم"[6]؛ يريد أهلَ السُّنّة دون البِدْعة.

والدعاءُ واحد الأَدْعية، وأَصله دُعاو لأنه من دَعَوْت، إلا أن الواو لَمَّا جاءت بعد الأَلف هُمِزتْ،

وتقول للمرأَة: أَنتِ تَدْعِينَ، وفيه لغة ثانية: أَنت تَدْعُوِينَ، وفيه لغة ثالثة: أَنتِ تَدْعُينَ، بإشمام العين الضمة، والجماعة أَنْتُنَّ تَدْعُونَ مثل الرجال سواءً؛ قال ابن بري: قوله في اللغة الثانية أَنتِ تَدْعُوِينَ لغة غير معروفة.

وتَداعى القومُ: دعا بعضُهم بعضاً حتى يَجتمعوا؛ عن اللحياني، وهو التَّداعي،

والتَّداعي والادِّعاءُ: الاعْتِزاء في الحرب، وهو أَن يقول أَنا فلانُ بنُ فلان، لأَنهم يَتداعَوْن بأَسمائهم.

وفي الحديث: ما بالُ دَعْوى الجاهلية؟ هو قولُهم: يا لَفُلانٍ، كانوا يَدْعُون بعضُهم بعضاً عند الأَمر الحادث الشديد.

ومنه حديث زيدِ بنِ أَرْقَمَ: فقال قومٌ يا للأَنْصارِ وقال قومٌ: يا لِلْمُهاجِرين فقال، عليه السلام: دَعُوها فإنها مُنْتِنةٌ.

و أَمّا قولهم: ما بالدَّارِ دُعْوِيٌّ، بالضم، أَي أَحد، قال الكسائي: هو مِنْ دَعَوْت أَي ليس فيها من يَدعُو لا يُتكَلَّمُ به إلاَّ مع الجَحْد؛ وقول العجاج: إِنِّي لا أَسْعى إلى داعِيَّهْ مشددة الياء، والهاءُ للعِمادِ مثل الذي في سُلْطانِيَهْ ومالِيَهْ؛ وبعد هذا البيت: إلا ارْتِعاصاً كارْتِعاص الحَيَّهْ ودَعاه إلى الأَمِير: ساقَه.

والدَّعَّاءةُ الأَنْمُلَةُ يُدْعى بها كقولهم السَّبَّابة كأَنها هي التي تَدْعُو، كما أَن السبابة هي التي كأَنها تَسُبُّ،

ودَواعي الدهر: صروفه. وقولهم: ما بالدار دُعْويٌّ بالضم، أي أحد، قال الكسائي[7]: هو من دَعَوْتُ، أي ليس فيها من يَدْعُو؛ لا يتكلَّم به إلا مع الجحد، قال الأخفش: سمعتُ من العرب من يقول: لو دَعَوْنا لانْدَعَينا، أي لأجبنا؛ كما تقول: لو بعثونا لانبعثنا[8].

و من التعابير المشهورة لهذه اللفظة قولهم: "تداعت الحيطان، وذلك إذا سقط واحد، وآخر بعده، فكأن الأول دعا الثاني. وربما قالوا: داعيناها عليهم، إذا هدمناها واحدا بعد آخر. ودواعي الدهر: صروفه، كأنها تميل الحوادث. ولبني فلان أدعية يتداعون بها، وهي مثل الأغلوطة، كأنه يدعو المسئول إلى إخراج ما يعميه عليه"[9].

---

[6] - النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد (ابن الأثير). ص121.

[7] -مقاييس اللغة، 280/2.

[8] - لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ابن منظور)، مادة دعا.

[9] - معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، ص281.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

و الدعوة اصطلاحا لقد أجمع العلماء، قديما وحديثا، على تعريفها بأنَّها "هي الدعوة إلى الله، والإيمان به إلها واحدا لا شريك له، و الإيمان بملائكته وكتبه و رسله و اليوم الآخر والقدر خيره و شره و صرف الناس و عقولهم إلى عقيدة تفيدهم أو مصلحة تنفعهم أو إنقاذهم من ضلالة كادوا يقعون فيها، أو من مصيبة كادت تحدق بهم"[10].

المطلب الثاني: الدعوة في الاستعمال القرآني.

بعدما أن بيَّنا المعنى اللغوي و الاصطلاحي لكلمة الدعوة سنتقرب من مدلولاتها في السياق القرآني، فقد قال الله تعالى: {وادْعوا شُهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين}[البقرة: 23]؛ قال أَبوإسحاق[11]: يقول ادْعوا من اسْتَدعَيْتُم طاعتَه ورجَوْتم مَعونتَه في الإتيان بسورة مثله، وقال الفراء: وادعوا شهداءكم من دون الله، يقول: آلِهَتَكم، يقول استَغِيثوا بهم، وهو كقولك للرجل إذا لَقِيتَ العدوّ خالياً فادْغُ المسلمين، ومعناه استغث بالمسلمين، فالدعاء ههنا بمعنى الاستغاثة و طلب النجدة، وقد يكون الدُّعاءُ عِبادةً[12]: {إن الذين تَدْعون من دون الله عِبادٌ أَمثالُكم}[الأعراف: 194]، وقوله بعد ذلك: {فادْعُوهم فلْيَسْتجيبوا لكم}[الأعراف: 194]، يقول: ادعوهم في النوازل التي تنزل بكم إن كانوا آلهة كما تقولون يُجيبوا دعاءكم، فإن دَعَوْتُموهم فلم يُجيبوكم فأَنتم كاذبون أَنهم آلهةٌ، لأنهم لا ينفعونكم و لا يضرون[13].

وقد وجدنا أبا إسحاق يقول في قوله: {أُجِيبُ دعوة الدَّاعِ إذا دَعانِ}[البقرة: 186]؛ معنى الدعاء لله على ثلاثة أَوجه: فضربٌ منها توحيدهُ والثناءُ عليه كقولك: يا اللهُ لا إله إلا أَنت، وكقولك: ربَّنا لكَ الحمدُ، إذا قُلْتَه فقدَ دعَوْته بقولك ربَّنا، ثم أَتيتَ بالثناء والتوحيد، ومثله قوله: {وقال ربُّكم ادعوني أَسْتَجِبْ لكم إنَّ الذين يَسْتَكبرون عن عِبادتي}[غافر: 60]؛ فهذا ضَرْبٌ من الدعاء، والضرب الثاني مسأَلة الله العفوَ والرحمة وما يُقَرِّب منه كقولك: اللهم اغفر لنا، والضرب الثالث مسأَلة الحَظِّ من الدنيا كقولك: اللهم ارزقني مالاً وولداً، وإنما سمي هذا جميعه دعاء لأَن الإنسان يُصَدّر في هذه الأَشياء بقوله يا الله يا ربّ يا رحمنُ، فلذلك سُمِّي دعاءً[14].

و ممَّا يُؤكد هذا المعنى ما جاء عن النبي، صل الله عليه وسلم، في حديث عرَفة قوله: "أَكثر دُعائي ودعاء الأَنبياء قَبْلي بعَرفات لا إله إلا اللهُ وحدهَ لا شريك له، له المُلكُ وله الحمدُ وهو

---

[10] -الدعوة إلى الله على بصيرة، د. عبد النعيم محمد حسنين، ص18.

[11] -تفسير ابن كثير.

[12] - تفسير القرطبي.

[13] -المرجع نفسه.

14- مجموعة من التفاسير.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

على كل شيء قدير"[15]، وإنما سمي التهليلُ والتحميدُ والتمجيدُ دعاءً لأَنه بمنزلته في استجلاب ثوابِ الله وجزائه كالحديث الآخر: "إذا شَغَلَ عَبْدي ثناؤه عليَّ عن مسأَلتي أَعْطَيْتُه أَفْضَلَ ما أُعْطِي السائِلين"[16].

وقد يكون معناها الاعتراف مثل قوله عز وجل: {فما كان دَعْواهُمْ إذ جاءَهم بأْسُنا إلا أَن قالوا إنا كنا ظالمين}[الأعراف: 05]؛ المعنى أَنهم لم يَحْصُلوا مما كانوا ينْتَحِلونه من المذْهب والدِّينِ وما يَدَّعونه إلا على الاعْتِرافِ بأَنهم كانوا ظالمين؛ هذا قول أَبي إسحاق.

وأَمّا في قوله تعالى: {وآخِرُ دَعْواهم أَنِ الحمدُ لله ربّ العالمين}[يونس: 10]؛ يعني أَنَّ دُعاءَ أَهلِ الجَنَّة تَنْزيهُ اللهِ وتَعْظِيمُه، وهو قوله: {دَعْواهم فيها سُبْحانكَ اللهمَّ}[يونس: 10]، ثم قال: "وآخرُ دَعْواهم أَن الحمدُ لله ربّ العالمين"[يونس: 10]؛ أَخبرَ أَنهم يبْتَدِئُون دُعاءَهم بتَعْظيم الله وتَنزيهه ويَخْتِمُونه بشُكْره والثناء عليه، فجَعل تنزيهه دعاءً وتحميدَهُ دعاءً، والدَّعوى هنا معناها الدُّعاء، والدَّعْوَى اسمٌ لما يَدَّعيه، والدَّعْوى تَصْلُح أَن تكون في معنى الدُّعاء، لو قلت اللهم أَشْرِكْنا في صالحِ دُعاءِ المُسْلمين أَو دَعْوَى المسلمين جاز؛ حكى ذلك سيبويه؛ وأَنشد: قالت ودَعْواها كثِيرٌ صَخَبُهْ[17].

و قد تأتي بمعنى العبادة فقد روي عن النبي، صلى الله عليه وسلم، أَنه قال: "الدُّعاءُ هو العِبادَة"[18]، ثم قرأَ: {وقال ربُّكم ادْعوني أَسْتَجِبْ لكم إنَّ الذين يسْتَكْبِرون عن عِبادتي}[غافر: 60]؛ وقال مجاهد في قوله: {واصْبِرْ نفْسَكَ مع الذين يَدْعُون رَبَّهم بالغَداةِ والعَشِيّ}[الكهف: 28]، قال: يُصَلُّونَ الصَّلَواتِ الخمسَ[19]، ورُوِي مثل ذلك عن سعيد بن المسيب في قوله: {لن نَدْعُوَ من دونه إلهاً}[الكهف: 14]؛ أَي لن نَعْبُد إلهاً دُونَه.

---

15 - حدثنا وكيع عن موسى بن عبيدة عن أخيه عن علي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أكثر دعائي ودعاء الأنبياء قبلي بعرفة لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، اللهم اجعل في قلبي نورا وفي سمعي نورا وفي بصري نورا، اللهم اشرح لي صدري ويسر لي أمري وأعوذ بك من وسواس الصدر وشتات الأمر وفتنة القبر، اللهم إني أعوذ بك من شر ما يلج في الليل ومن شر ما يلج في النهار، ومن شر ما تهب به الرياح، ومن شر بوائق الدهر. .

16 - أحاديث الأحكام، عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، دار الفكر، ص. 107.

17 -تفسير ابن كثير وغيره.

18 -تفسير الطبري.

19 -تفسير ابن كثير.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

و من السياقات القرآنية التي حملت نفس المعنى، الذي أشرنا إليه سابقا، قوله تعالى: {أَتَدْعُون بَعْلاً}[الصافات: 125]؛ أَي أَتَعْبُدون رَبّاً سِوَى الله، وقال: {ولا تَدْعُ معَ اللهِ إلهاً آخرَ}[القصص: 88]؛ أَي لا تَعْبُدْ[20].

والدُّعاءُ كالدعوة هو الرَّغْبَةُ إلى الله عز وجل، دَعاهُ دُعاءً ودَعْوَى؛ حكاه سيبويه في المصادر التي آخرها أَلف التأْنيث؛ وأَنشد لبُشَيْر بن النِّكْثِ: وَلَّت ودَعْواها شَديدٌ صَخَبُهْ ذكَّرَ على معنى الدعاء.

ومما يؤكد ذلك ما جاء في الحديث: "لولا دَعْوَةُ أَخِينا سُلَيمانَ لأَصْبَحَ مُوثَقاً يَلْعَبُ به وِلْدانُ أَهلِ المدينة"[21]؛ يعني الشَّيْطان الذي عَرَضَ له في صلاته، وأَراد بدَعْوَةِ سليمان، عليه السلام، قوله: {وهَبْ لي مُلْكاً لا ينبغي لأَحَدٍ من بَعْدي}[ص: 35]، ومن جملة مُلكه تسخير الشياطين وانقِيادُهم له.

ومنه كذلك قوله، صلى الله عليه وسلم،: "سأُخْبِرُكم بأَوَّل أَمري دَعْوةُ أَبي إبراهيم وبِشارةُ عِيسى"[22]؛ دَعْوةُ إبراهيم، عليه السلام، قولهُ تعالى: {رَبَّنا وابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً منهم يَتْلُو عليهم آياتِكَ}؛ وبِشارَةُ عيسى، عليه السلام، قوله تعالى: {ومُبَشِّراً برَسُولٍ يأْتي من بَعْدي اسْمهُ أَحْمَدُ}. وقوله تعالى: {له دَعْوةُ الحقّ}؛ قال الزجاج: جاء في التفسير أَنها شهادة أَن لاإله إلا الله، وجائزٌ أَن تكون، والله أَعْلم، دعوةُ الحقِّ أَنه مَن دَعا الله مُوَحِّداً استُجيب له دعاؤه.

وفي كتابه، صلى الله عليه وسلم، إلى هِرَقْلَ: أَدْعُوكَ بِدِعايةِ الإسْلام أَي بِدَعْوَتِه[23]، وهي كلمة الشهادة التي يُدْعى إليها أَهلُ المِلَلِ الكافرة، وفي رواية: بداعيةِ الإسْلامِ، وهو مصدر بمعنى الدَّعْوةِ كالعافية والعاقبة.

ومنه حديث عُمَيْر بن أَفْصى: ليس في الخَيْلِ داعِيةٌ لِعامِلٍ أَي لا دَعْوى لعاملِ الزكاة فيها ولا حَقَّ يَدْعُو إلى قضائه لأَنها لا تَجب فيها الزكاة، ودَعا الرجلَ دَعْواً ودُعاءً: ناداه، والاسم الدعْوة.

ودَعَوْت فلاناً أَي صِحْت به واسْتَدْعَيْته كما في قوله تعالى: {يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّه أَقْرَبُ من نَفْعِه}[الحج: 13]؛ إلا أَنَّ أَبا إسحق ذهب[24] إلى أَن يَدْعُو بمنزلة يقول، ولَمَنْ مرفوعٌ بالابتداء ومعناه يقولُ لَمَنْ ضَرُّه أَقربُ من نَفْعه إلهٌ وربٌّ؛ وكذلك قول عنترة: يَدْعُونَ عَنْتَرَ، والرِّماحُ كأَنها أَشْطانُ بئرٍ في لَبانِ الأَدْهَمِ معناه يقولون: يا عَنْتَر، فدلَّت يَدْعُون عليها.

---

[20] -التحرير و التنوير، ص 197.

[21] - في صحيح مسلم عن أبي الدرداء.

[22] -أخرجه أحمد فى " المسند " (ح (17163/28/395ط الرسالة من طريق أَبُو الْيَمَانِ الْحَكَمُ بْنُ نَافِعٍ، والحاكم فى" المستدرك " (ح (4175/2/656ط دار الكتب العلمية.

[23] متفق عليه، عن ابن عباس، رضي الله عنهما.

[24] -تفسير الطبري.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وهو مِنِّي دَعْوَةَ الرجلِ ودَعْوةُ الرجُلِ، أي قدرُ ما بيني وبينه، ذلك يُنْصَبُ على أنه ظرف ويُرفع على أنه اسمٌ، ولبني فلانٍ الدَّعْوةُ على قومِهم أي يُبْدأُ بهم في الدعاء إلى أَعْطِياتِهم[25]، وقد انتهت الدَّعْوة إلى بني فلانٍ، وقد كان عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، يُقدِّمُ الناسَ في أَعطِياتِهم على سابقتِهم، فإذا انتهت الدَّعْوة إليه كَبَّر أي النداءُ والتسميةُ وأَن يقال دونكَ يا أَميرَ المؤمنين.

و أمَّا في قوله تعالى: {وداعِياً إلى الله بإذْنهِ وسِراجاً مُنيراً}؛ معناه داعياً إلى توحيد الله وما يُقَرِّبُ منه، ودعاهُ الماءُ والكَلأُ كذلك على المَثَل، والعربُ تقول: دعانا غَيْثٌ وقع ببَلدٍ فأَمْرَعَ أي كان ذلك سبباً لانْتِجاعنا إيَّاه؛ ومنه قول ذي الرمة: تَدْعُو أَنْفَهُ الرِّيَبُ والدُّعاةُ: قومٌ يَدْعُونَ إلى بيعة هُدىً أَو ضلالة، واحدُهم داعٍ؛ ورجل داعِيةٌ إذا كان يَدْعُو الناس إلى بدْعة أَو دينٍ، أُدْخِلَت الهاءُ فيه للمبالغة.

والنبي، صلى الله عليه وسلم، داعي الله تعالى، وكذلك المُؤَذِّنُ.

كما جاء في التهذيب: المُؤَذِّنُ داعي الله والنبيّ، صلى الله عليه وسلم، داعي الأُمَّةِ إلى توحيدِ الله وطاعتِه. قال الله عز وجل مخبراً عن الجنّ الذين اسْتَمعوا القرآن: {وولَّوْا إلى قومهم مُنْذِرين قالوا يا قَوْمَنا أَجِيبُوا داعِيَ اللهِ}[الأحقاف: 29]، ويقال لكلّ من مات دُعِيَ فأَجاب.

وقال الكلبي في قوله عز وجل: {ادْعُ لنا ربَّك يُبَيِّن لنا ما لَوْنُها}، قال: سَلْ لنا رَبّك، والدَّعْوة والدِّعْوة والمَدْعاة والمدْعاةُ: ما دَعَوتَ إليه من طعام وشراب، الكسر في الدِّعْوة قوله «الكسر في الدعوة إلخ» قال في التكملة: وقال قطرب الدعوة بالضم في الطعام خاصة[26]، لعَدِي بن الرِّباب وسائر العرب يفتحون، وخص اللحياني بالدَّعْوة الوليمة. قال الجوهري: كُنا في مَدْعاةِ فلان وهو مصدر يريدون الدُّعاءَ إلى الطعام.

وقد وردت بنفس المعنى في قول الله عز وجل: {والله يَدْعُو إلى دار السلام ويَهْدي مَنْ يشاء إلى صراط مستقيم}؛ دارُ السلامِ هي الجَنَّة، والسلام هو الله، ويجوز أَن تكون الجنة دار السلام أَي دار السلامة والبقاء، ودعاءُ اللهِ خَلْقَه إليها كما يَدْعُو الرجلُ الناسَ إلى مَدْعاةٍ أَي إلى مَأْدُبَةٍ يتَّخِذُها وطعامٍ يدعو الناسَ إليه.

---

[25] مقاييس اللغة، 280.

[26] -المرجع نفسه.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وفي الحديث: أنه، صلى الله عليه وسلم، قال: " إذا دُعيَ أَحَدُكم إلى طعام فلْيُجِبْ فإن كان مُفْطِراً فلْيَأْكُلْ وإن كان صائماً فلْيُصَلِّ"[27]، وفي العُرْسِ دَعْوة أَيضاً، وهو في مَدْعاتِهِم: كما تقول في عُرْسِهِم.

وفلان يَدَّعي بكَرَم فِعالِهِ أَي يُخْبِر عن نفسه بذلك.

والمَداعي: نحو المَساعي والمكارِم، يقال: إنه لذُو مَداعٍ ومَساعٍ، وفلان في خير ما ادَّعَى أَي ما تَمَنَّى،

وفي التنزيل: {ولهم ما يَدَّعُون}؛ معناه ما يتَمَنَّوْنَ وهو راجع إلى معنى الدُّعاء أَي ما يَدَّعِيه أَهلُ الجنة يأْتيهم[28].

وتقول العرب: ادَّعِ عليَّ ما شئتَ، وقال اليزيدي: يقال في هذا الأَمر دَعْوى ودَعاوَى ودَعاوةٌ ودِعاوةٌ؛ وأَنشد: تأْبَى قُضاعَةُ أَنْ تَرْضى دِعاوَتَكم وابْنا نِزارٍ، فأَنْتُمْ بَيْضَةُ البَلَدِ قال: والنصب في دَعاوة أَجْوَدُ.

وقال الكسائي: يقال لي فيهم دِعْوة أَي قَرابة وإخاءٌ.

وادَّعَيْتُ على فلان كذا، والاسم الدَّعْوى.

ودعاهُ اللهُ بما يَكْرَه: أَنْزَلَه به؛ قال: دَعاكَ اللهُ من قَيْسٍ بأَفْعَى، إذا نامَ العُيونُ سَرَتْ عَلَيْكا وفي الأساس: دعاك الله من رجلٍ إلخ، القَيْسُ هنا من أَسماء الذَّكَر.

ودَواعي الدَّهْرِ: صُرُوفُه، ففي قوله تعالى في ذِكْرِ لَظَى، نعوذ بالله منها: {تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وتَوَلَّى}[المعراج: 17]؛ من ذلك أَي تَفْعل بهم الأَفاعيل المَكْرُوهَة، وقيل: هو من الدعاء الذي هو النداء، وليس بقَوِيّ.

وروى الأَزهري عن المفسرين: تدعو الكافر باسمه والمنافق باسمه، وقيل: ليست كالدعاءِ تَعالَ، ولكن دَعْوَتها إياهم ما تَفْعَل بهم من الأَفاعيل المكروهة، وقال محمد بن يزيد: تَدْعُو من أَدبر وتولَّى أَي تُعَذِّبُ، وقال ثعلب: تُنادي من أَدْبر وتولَّى[29].

---

[27] -رواه مسلم عن أبي هريرة.

[28] -لسان العرب، حرف الدال.

[29] -تفسير الطبري.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

و أمَّا قولنا: دَعَوْته بزيدٍ ودَعَوْتُه إياهُ: سَمَّيته به، تَعَدَّى الفعلُ بعد إسقاط الحرف؛ قال ابن أَحمرَ الباهلي: أَهْوَى لها مِشْقَصاً جَشْراً فشَبْرَقَها، وكنتُ أَدْعُو قَذَاها الإِثْمِدَ القَرِدا أي أُسَمِّيه، وأَراد أَهْوَى لما بِمِشْقَصٍ فحذف الحرف وأَوصل.

و في قوله عز وجل: {أَنْ دَعَوْا للرحمن وَلَداً}[مريم: 88]؛ أي جعَلوا، وأَنشد بيت ابن أَحمر أَيضاً وقال أَي كنت أَجعل وأُسَمِّي؛ ومثله قول الشاعر: أَلا رُبَّ مَن تَدْعُو نَصِيحاً، وإِنْ تَغِبْ تَجِدْهُ بغَيْبٍ غيرَ مُنْتَصِحِ الصَّدْرِ ودَّعيت الشيءَ: زَعَمْتُهِ لِي حَقّاً كان أَو باطلاً.

وقول الله عز وجل في سورة المُلْك: {وقيل هذا الذي كُنْتُم به تَدَّعُون}؛ قرأَ أَبو عمرو تَدَّعُون، مثقلة، وفسره الحسن تَكْذبون من قولك تَدَّعي الباطل وتَدَّعي ما لا يكون، تأْويله في اللغة هذا الذي كنتم من أَجله تَدَّعُونَ الأَباطيلَ والأَكاذيبَ، وقال الفراء: يجوز أَن يكون تَدَّعُون بمعنى تَدْعُون، ومن قرأَ تَدْعُون، مخففة، فهو من دَعَوْت أَدْعُو، والمعنى هذا الذي كنتم به تستعجلون وتَدْعُون الله بتَعْجيله، يعني قولهم: اللهم إن كان هذا هو الحَقَّ من عندك فأَمْطِر علينا حجارةً من السماء، قال: ويجوز أَن يكون تَدَّعُون في الآية تَفْتَعِلُونَ من الدعاء وتَفْتَعِلون من الدَّعْوَى، والاسم الدَّعْوى والدِّعْوة، قال الليث: دَعا يَدْعُو دَعْوَةً ودُعاءً وادَّعَى يَدَّعي ادِّعاءً ودَعْوَى، وفي نسبه دَعْوة أَي دَعْوَى.

و نخلص في نهاية المبحث إلى هذا المخطط البياني لأهم معاني الدعوة في استعمالات القرآن:

إذا كانت هذه هي أهم معاني الدعوة في استعمالات القرآن الكريم فماهي الألفاظ ذات الصلة بكلمة الدعوة؟

المطلب الثالث: الألفاظ ذات الصلة: (الدعاء –الادعاء –الدعوى – الهداية – الموعظة. . . .).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إن المتتبع لآيات القرآن الكريم يجد أن لكلمة الدعوة كلمات أُخر تدور في فلك معناها، وقد تكون في بعض الأحيان مرادفة لها، مثل كلمة الدِّعْوة، بكسر الدال قال تعالى: {وما جعلَ أَدْعِياءَكم أَبْناءَكم ذلِكم قَوْلُكمْ بأَفْواهِكم}: ادِّعاءُ الوَلدِ الدَّعِيِّ غير أَبيه، والدَّعِيُّ: المنسوب إلى غير أَبيه، يقال: دَعِيٌّ بيِّنُ الدِّعْوة والدِّعاوَة، وقد قال ابن شميل: الدَّعْوة في الطعام والدِّعْوة في النسب. ابن الأَعرابي: المدَّعَى المُتَّهَمُ في نسبَه، وهو الدَّعِيُّ.

والدَّعِيُّ أَيضاً: المُتَبَنَّى الذي تَبَنَّاه رجلٌ فدعاه ابنَه ونسبُه إلى غيره، وكان النبي، صلى الله عليه وسلم، تَبَنَّى زيدَ بنَ حارثةَ فأَمَرَ اللهُ عز وجل أَن يُنْسَب الناسُ إلى آبائهم وأَن لا يُنْسَبُوا إلى مَن تَبَنَّاهم فقال: {ادْعُوهم لآبائهم هو أَقْسَطُ عند الله فإن لم تَعْلَموا آباءَهم فإخوانُكم في الدِّينِ ومَوالِيكمْ}[الأحزاب: 05]، أَبو عمرو عن أَبيه: والداعي المُعَذِّب، دَعاهُ الله أَي عَذَّبَه الله[30].

وإنه لَبَيِّنُ الدَّعْوَة والدِّعْوةِ، الفتح لعَدِيِّ بن الرِّباب، وسائرُ العرب تَكْسِرُها بخلاف ما تقدم في الطعام.

وحكى اللحياني: إنه لبيِّنُ الدَّعاوة والدِّعاوة، وفي الحديث: لا دِعْوة في الإسلام؛ الدِّعْوة في النسب، بالكسر: وهو أَن ينْتَسب الإنسان إلى غير أَبيه وعشيرته، وقد كانوا يفعلونه فنهى عنه وجعَل الوَلَدَ للفراش.

وفي الحديث: ليس من رجل ادَّعَى إلى غير أَبيه وهو يَعْلمه إلا كَفَر، وفي حديث آخر: فالجَنَّة عليه حرام، وفي حديث آخر: فعليه لعنة الله، وقد تكرَّرَت الأَحاديث في ذلك، والادِّعاءُ إلى غيرِ الأَبِ مع العِلْم به حرام، فمن اعتقد إباحة ذلك فقد كفر لمخالفته الإجماع، ومن لم يعتقد إباحته ففي معنى كفره وجهان: أَحدهما أَنه قدأَشبه فعلُه فعلَ الكفار، والثاني أَنه كافر بنعمة الله والإسلام عليه؛ وكذلك الحديث الآخر: فليس منا أَي إن اعْتَقَد جوازَه خرج من الإسلام، وإن لم يعتقده فالمعنى لم يَتَخَلَّق بأَخلاقنا؛ ومنه حديث علي بن الحسين: المُسْتَلاطُ لا يَرِثُ ويُدْعَى له ويُدْعَى به؛ المُسْتَلاطُ المُسْتَلْحَق في النسب، ويُدَعى له أَي يُنْسَبُ إليه فيقال: فلان بن فلان، ويُدْعَى به أَي يُكَنَّى فيقال: هو أَبو فلان، وهو مع ذلك لا يرث لأَنه ليس بولد حقيقي.

30 -تفسير الطبري، سورة الأحزاب.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والدَّعْوة: الحِلْفُ، وفي التهذيب: الدَّعوةُ الحِلْف. يقال: دَعْوة بني فلان في بني فلان.
وتَداعَى البناءُ والحائط للخَراب إذا تكسَّر وآذَنَ بانْهِدامٍ.
وداعَيْناها عليهم من جَوانِبها: هَدَمْناها عليهم.
وتَداعَى الكثيب من الرمل إذا هِيلَ فانْهالَ.

وفي الحديث: كَمَثَلِ الجَسدَ إذا اشْتَكَى بعضهُ تَداعَى سائرهُ بالسَّهَر والحُمَّى كأَن بعضه دعا بعضاً من قولهم تَداعَت الحيطان أَي تساقطت أَو كادت، وتَداعَى عليه العدوّ من كل جانب: أَقْبَلَ، من ذلك.

وتَداعَت القبائلُ على بني فلان إذا تأَلَّبوا ودعا بعضهم بعضاً إلى التَّناصُر عليهم.
وفي الحديث: "تَداعَتْ عليكم الأُمَم. . " أَي اجتمعوا ودعا بعضهم بعضاً.

وفي حديث ثَوْبانَ: "يُوشكُ أَن تَداعَى عليكم الأُمَمُ كما تَداعَى الأَكَلَةُ على قَصْعَتِها"[31].
وتَداعَتْ إبلُ فلان فهي مُتدَاعِيةٌ إذا تَحَطَّمت هُزالاً؛ وقال ذو الرمة: تَباعَدْتَ مِنِّي أَن رأَيتَ حَمُولَتِي تَداعَتْ، وأَن أَحْنَى عليكَ قَطِيعُ والتَّداعِي في الثوب إذا أَخْلَقَ، وفي الدار إذا تصدَّع من نواحيها، والبرقُ يَتَداعَى في جوانب الغَيْم؛ قال ابن أَحمر: ولا بَيْضاءَ في نَضَدٍ تَداعَى ببَرْقٍ في عَوارِضَ قد شَرِينا ويقال: تَداعَت السحابةُ بالبرق والرَّعْد من كل جانب إذا أَرْعَدَت وبَرَقَت من كل جهة. قال أَبو عَدْنان: كلُّ شيء في الأَرض إذا احتاجَ إلى شيء فقد دَعا به.

ويقال للرجل إذا أَخْلَقَت ثيابُه: قد دعَتْ ثِيابُكَ أَي احْتَجْتَ إلى أَن تَلْبَسَ غيرها من الثياب.
وقال الأَخفش: يقال لو دُعينا إلى أَمر لانْدَعَينا مثل قولك بَعَثْتُه فانْبَعَثَ، وروى الجوهريّ هذا الحرف عن الأَخفش، قال: سمعت من العرب من يقول لو دَعَوْنا لانْدَعَيْنا أَي لأَجَبْنا كما تقول لو بَعَثُونا لانْبَعَثْنا؛ حكاها عنه أَبو بكر ابن السَّرَّاج.
والتَّداعي: التَّحاجِي.
وداعاهُ: حاجاهُ وفاطَنَه.

---

[31] - رواه أبي داود في سننه 111/4، ورواه الإمام أحمد في مسنده 278/5، ورواه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق 330/23، ورواه ابن أبي عاصم في الزهد 134/1.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والأُدْعِيَّةُ والأُدْعُوَّةُ: ما يَتَداعَوْنَ به. سيبويه: صَحَّت الواو في أُدْعُوَّة لأَنه ليس هناك ما يَقْلِبُها، ومن قال أُدْعِيَّة فلخِفَّةِ الياء على حَدِّ مَسْنِيَّة، والأُدْعِيَّة مِثْل الأُحْجِيَّة.

والمُداعاة: المُحاجاة. يقال: بينهم أُدْعِيَّة يَتَداعَوْنَ بها وأُحْجِيَّة يَتَحاجَوْنَ بها، وهي الأُلْقِيَّة أَيضاً، وهي مِثْلُ الأُغْلُوطات حتى الأَلْغازُ من الشعر أُدْعِيَّة مثل قول الشاعر: أُداعِيكَ ما مُسْتَحْقَباتٌ مع السُّرَى حِسانٌ، وما آثارُها بحِسانِ أَي أُحاجيكَ، وأَراد بالمُسْتَحْقَباتِ السُّيوفَ، وقد دَاعَيْتُه أُدَاعِيهِ؛ وقال آخر يصف القَلَم: حاجَيْتُك يا خَنْسا ءُ، في جِنْسٍ من الشِّعْرِ وفيما طُولُه شِبْرٌ، وقد يُوفِي على الشِّبْرِ له في رَأْسِهِ شَقٌّ نَطُوفٌ، ماؤُه يَجْرِي أَبِيني، لَمْ أَقُلْ هُجْراً ورَبِّ البَيْتِ والحِجْرِ.

و من الكلمات التي ترتبط ارتباطا وثيقا بكلمة الدعوة من حيث المعنى لفظة الهداية بجميع مشتقاتها وهي أول ما ذكر في كتاب الله تعالى، طلب الهداية في سورة الفاتحة وفي قوله تعالى: {ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ}[البقرة: 2]، وقال: {أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}[البقرة: 5]

وقال: {أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ}[البقرة: 16]

{قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}[البقرة: 38]

وقال: {قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ}[البقرة: 97]

وقال: {وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ}[البقرة: 120]

وقال: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ}[البقرة: 143]

وقال: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ}[البقرة: 159]

وقال: {أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ}[البقرة: 175]

وقال: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}[البقرة: 185]

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقال: {مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ}[آل عمران: 4]

وقال: {وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}[آل عمران: 73]

وقال: {إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ}[آل عمران: 96]

وقال: {هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ}[آل عمران: 138]

وقال: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا}[النساء: 51]

وقال: {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا}[النساء: 115]قال تعالى: {وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ}[الأعراف: 155]

وقوله: {وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ}[يونس: 43]

وقوله: {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ}[القصص: 56]

وقوله: {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}[الشورى: 52]

يلحظ الملاحظ و المدقق في الآيات السابقة الذكر بأن كلمة الهداية مرتبطة ارتباطا لصيقا بكلمة الدعوة، حيث أن الهداية غاية و وسيلة من وسائل الدعوة كما أكدت على ذلك سياقات القرآن الكريم المختلفة.

ومما يؤكد هذا المعنى و يرسخه ما نجد في الآيات التالية: قال تعالى: {أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ}[الزخرف: 40]، وقال أيضا: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ}[البقرة: 26]

و قوله: {سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}[البقرة: 142]، وقوله: {كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}[البقرة: 213].

يستنتج مما سبق، بأن الهداية لن تحصل إلا إذا سبقها دعوة سواء أكانت بطريقة مباشرة أو بطريقة غير مباشر كما نجد في الآيات التالية:

قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}[البقرة: 258]

وقوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ}[البقرة: 264]

وقولهك{لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ}[البقرة: 272]

{كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}[آل عمران: 86]

ذكر ابن كثير في تفسير هذه الآية ما نصه: " جاء الحارث بن سُوَيد فأسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم، ثم كفر الحارث فرجع إلى قومه، فأنـــزل الله عز وجل فيه القرآن: "كيف يَهدي الله قومًا كفروا بعدَ إيمانهم" إلى " إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإنّ الله غفورٌ رحيمٌ"، قال: فحملها إليه رجل من قومه فقرأها عليه، فقال الحارث: إنك والله ما علمتُ لصَدُوقٌ، وإنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصدقُ منك، وإنّ الله عز وجل لأصدق الثلاثة. قال: فرجع الحارث فأسلم فحسن إسلامه"[32].

فهذا يدل دلالة صادقة على أن الهداية لابد أن تسبق بالدعوة، فقد قال الله تعالى: {يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}[النساء: 26]، فلابد من البيان و التوضيح حتى تحصل الهداية أو النفور قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا}[النساء: 137]

32 -تفسير ابن كثير.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقوله: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا}[النساء: 168]

فيكرم الله، سبحانه و تعالى آهل الهداية و يزيدهم من فضله قال تعالى: {فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا}[النساء: 175]

وقال تعالى: {يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}[المائدة: 16].

وأصل الدعوة أن تكون بالقرآن الكريم، لهذا نجد في القرآن الكريم نداءات شتى لأهل الإيمان و غيرهم مثل قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}[المائدة: 51].

وقوله تعالى مخاطبا نبيه، صلى الله عليه وسلم: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ}[المائدة: 67]، ونلاحظ في الآية الأخيرة ارتباط الهداية بالتبليغ وما التبليغ إلا ضرب من ضروب الدعوة.

و تأسيسا على ما سبق، فإن الهداية و التبليغ و الدعوة هي كلمات يجمع بينها المعنى و السياق وإن اختلفت في المبنى، وكلها هدف من أهداف القرآن الكريم قال تعالى: {ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ}[المائدة: 108]، وقال أيضا: {ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}[الأنعام: 88].

تنشرح صدور الناس بالدعوة للهداية أو تضيق قال تعالى: {فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ}[الأنعام: 125].

و لا تضيق إلا صدور الظالمين الذين ينكرون الحقيقة الماثلة أمام أعينهم، قال تعالى: {وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}[الأنعام: 144]، وقال أيضا: {وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ}[الأعراف: 148].

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

و ينفر الإنسان من الدعوة لعدة أسباب على رأسها إتباع سير الآباء و الأجداد، قال تعالى: {أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}[التوبة: 19].

ومنها، أيضا، الركون إلى ملذات الدنيا و شهواتها، قال تعالى: {قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ}[التوبة: 24].

وقال أيضا: {إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ}[التوبة: 37]

وفي قوله تعالى: {اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ}[التوبة: 80].

فالصلة، على ما سبق، بين الهداية و الدعوة واضحة، ومن هنا فإنه لا تحصل هداية إلا بدعوة ومن تقبلها بقبول حسن فذاك من المتقين، و من رفض الدعوة و انتكس فمصيره النار، والعياذ بالله، قال تعالى: {أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}[التوبة: 109]، وقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ}[يونس: 9].

وأنا أتتبع كلمة الهداية، آية آية، في القرآن الكريم وجدت أنه قد جمع بينها وبين الدعوة في عدة مواضع من القرآن الكريم مثل قوله تعالى: {وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}[يونس: 25]، وقوله تعالى: {قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ}[يونس: 35].

و عموما؛ فإن الهداية من الله لمن رغب في ذلك، و اتبع سبيل الحق، و ابتعد عن سبيل الغي، قال تعالى: {ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ}[يوسف: 52]

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقال أيضا: {وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ}[الرعد: 27].

و يشترط في الداعية أن يخاطب الناس بلسانهم و بما يفهمون حتى تحصل الهداية، وهي علامة من علامات الحرص على هدايتهم، قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}[إبراهيم: 4]، وقال أيضا: {إِنْ تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ}[النحل: 37].

وإليك أخي القارئ جملة من الآيات التي تثبت ما أشرنا إليه سابقا، لتعلم أنَّ الهداية مرتبطة ارتباطا وثيقا بالدعوة و بطرقها ووسائلها، فما عليك إلا أن تقرأها بتريث و تدبر، و تعرض قلبك عليها، وتنهج نهج الهداية لتكون من المفلحين الفائزين بإذنه تعالى:

قال تعالى: {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}[النحل: 93][33]، وقال: {إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}[النحل: 104].

وقال، أيضا،: {ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ}[النحل: 107]

وقال: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا}[الإسراء: 9]

وقال: {إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا}[الكهف: 24]

وقال: {كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ}[الحج: 4]

وقال: {وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ}[الحج: 16]

وقال: {اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}[النور: 35]

وقال: {لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}[النور: 46]

وقال: {قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ}[الشعراء: 62]

وقال: {الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ}[الشعراء: 78]

---

33 -رتبت كل آيات الهداية التي جمعتها في هذا البحث بحسب الترتيب المصحفي.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقال: {أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ}[النمل: 63]

وقال: {وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ}[القصص: 22]

وقال: {فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}[القصص: 50]

وقال: {بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ}[الروم: 29]

وقال: {مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ}[الأحزاب: 4]

وقال: {وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ}[سبأ: 6]

وقال: {أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ}[فاطر: 8]، {وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ}[الصافات: 99]

وقال: {أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ}[الزمر: 3]

وقال: {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ}[الزمر: 23]

وقال: {وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ}[غافر: 28]

وقال: {شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ}[الشورى: 13]

وقال: {إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ}[الزخرف: 27]

وقال: {أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ}[الجاثية: 23]

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقال: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}[الأحقاف: 10]

وقال: {قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ}[الأحقاف: 30]

وقال: {سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ}[محمد: 5]

وقال: {لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا}[الفتح: 2]

وقال: {وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا}[الفتح: 20]

وقال: {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ}[الصف: 5]

وقال: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}[الصف: 7]

وقال: {مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}[الجمعة: 5].

وقال: {سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ}[المنافقون: 6].

وقال: {يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا}[الجن: 2].

وقال: {وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ}[المدثر: 31].

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ويمكن أن نجمل كل ما ذكرناه، في هذا المبحث، من خلال المخطط البياني التالي:

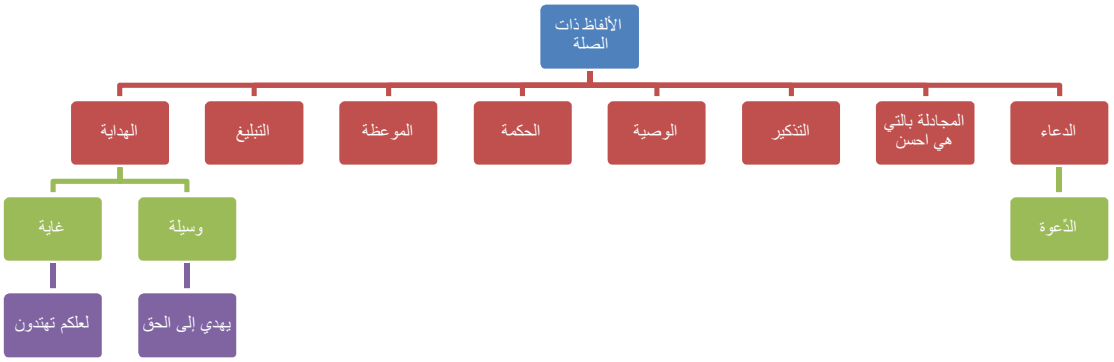

هذه هي الألفاظ التي ترتبط بكلمة بالدعوة في القرآن الكريم، الذي بيَّن بأن الدعوة من الله لعباده لكي يهتدوا ويتبعوا سبيل الرشاد، فكيف أسند القرآن الكريم الدعوة إلى الله تعالى؟

المبحث الثاني: إسناد الدعوة إلى الله تعالى:

ومما زاد الدعوة شرفا و نُبلا هو إسناد القرآن الدعوة إلى الله في كثير من المواطن منها: قوله تعالى: {وَاللّهُ يَدْعُوَ إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ}، فالله يدعو عباده إلى الجنة، ويدعوهم إلى الاستغفار بمعنى طلب المغفرة، والمغفرة هى وقاية شر الذنوب وقد كثر فى القرآن ذكر الاستغفار.

فنجد أن الله يأمرنا به مباشرة كقوله تعالى: {وَاستَغفِرُوا اللهَ إِنّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمُ {[سورة المزمل: آية 20]، وقوله: {وَأَنِ استَغفِرُوا رَبَّكُم ثُمَّ تُوبُوا إِلَيهِ] {سورة هود: آية 3]

وتارة يمدح أهله كقوله تعالى: {وَٱلْمُستَغفِرِينَ بِالأَسحَارِ}[سورة آل عمران: آية 17]

وقوله تعالى: {وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَو ظَلَمُوا أَنفُسَهُم ذَكَرُوا اللهَ فَاستَغفَرُوا لِذُنُوبِهِم وَمَن يَغفِرُ الذُّنُوب إِلاّ اللهُ}[سورة آل عمران: آية 135]

وتارة يذكر أن الله يغفر لمن استغفره كقوله تعالى: {وَمَن يَعمَل سُوءًا أَو يَظلِم نَفسَهُ ثُمَّ يَستغفِرِ اللهَ يَجِدِ اللهَ غَفُوراً رَّحِيماً}[سورة النساء: آية 110]

وفى حديث شداد بن أوس عن النبى: أسألك من خير ما تعلم وأعوذ بك من شر ما تعلم وأستغفرك لما تعلم إنك أنت علام الغيوب"[34].

وفى مثل هذا يقول بعضهم:

---

34 - حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ، المستدرك على الصحيحين(1915).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

استَغفِرُ اللهَ مِمَّا يَعـلَـمُ الـلـهُ. . . . . إنّ الشَّقِيَّ لَمَن لاَ يَرحَمُ الـلـهُ
مَا أَحلَمَ اللهَ عَمَّن لاَ يُرَاقِـبُـهُ. . . . . كُلٌّ مُسِيءٌ ولَكِن يَحلُمُ الـلـهُ
فاستَغفِرِ اللهَ مِمَّا كَانَ مِن زَلَلٍ. . . . . طُوبَى لِمن كَفَّ عَمَّا يَكرَهُ اللهُ
طُوبَى لِمَن حَسُنَت سَـرِيرَتُـهُ. . . . . طَوبَى لِمَن يَنتَهِي عَمَّا نَهَى اللهُ[35]

جاءت الدعوة إلى الجنة صراحة في قول البارئ سبحانه وتعالى:

{وَاللّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلاَمِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (25) لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلاَ يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلاَ ذِلَّةٌ أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (26) وَالَّذِينَ كَسَبُواْ السَّيِّئَاتِ جَزَاء سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ اللّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعاً مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِماً أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (27). }[يونس: 25-27].

بيَّن الله تعالى ما يدعو إليه من سعادة الآخرة ووصف حال المحسنين و المسيئين فيها بعدما أن ذكر غرور المشركين الجاهلين بمتاع الحياة الدنيا فقال سبحانه: {والله يدعو إلى دار السلام}، وهي جملة عطف على محذوف "يدل عليه السياق وقرينة المقابلة أي ذاك الإيثار لمتاع الدنيا والإسراف والبغي فيه، هو ما يدعو إليه الشيطان، فيسوق متبعيه إلى النار، دار الخزي والنكال، والله يدعو عباده إلى دار السلام وهي الجنة، وفي المراد بـــــ (السلام) الذي أضيفت إليه (الدار) وجوه يصح أن تراد كلها:

أولها: أنه السلامة من جميع الشوائب والمصائب والمعايب، والنقائص والأكدار، والعداوة، والخصام، الثاني: أنه تحية الله وملائكته لأهلها، وتحية بعضهم لبعض الدالة على تحابهم وتوادهم وقد تقدم شرحه قريبا.

ثالثها: أن (السلام) من أسمائه عز وجل، وأضيفت دار النعيم إليه تعظيما لشأنها، وهو مصدر وصف به للمبالغة كالعدل، ويدل على كمال التنزيه والسلامة من كل ما لا يليق برب العالمين الرحمن الرحيم، وفي بعض الأحاديث إضافة هذه الدار إلى ضمير الذات (داري)". [36]

ويهدي، عن طريق الوحي و إرسال الرسل، اللهُ سبحانه وتعالى من يشاء، من عباده، إلى صراط مستقيم، فهو "يدعو كل أحد إلى دخول (دار السلام) ويهدي من يشاء إلى الطريق الموصل إليها من غير تعويق؛ لأنه مستقيم لا عوج فيه ولا التواء، وهو الإسلام عقائده وفضائله وعباداته وأحكامه،

---

[35] - جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، ص414.

[36] - تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ص286 .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والهداية في الأصل الدلالة بلطف، وتكون بالتشريع وهو بيانه، وهي عامة، وبالتوفيق للسير عليه والاستقامة الموصلة إلى الغاية، وهي خاصة بالمستعدين لذلك كما فصلناه في تفسير سورة الفاتحة، وهي المرادة هنا ولذلك قيدها بالمشيئة "[37].

وزيادة على ما سبق؛ فإنَّ{للذين أحسنوا الحسنى وزيادة}هي بيان لصفة الذين هداهم إلى صراط الإسلام، فوصلوا بالسير عليه إلى غايته وهي (دار السلام) التي يدعو الله إليها، "أي للذين أحسنوا أعمالهم في الدنيا المثوبة (الحسنى) أي التي تزيد في الحسن على إحسانهم، وهي مضاعفتها بعشرة أمثالها أو أكثر، كما قال تعالى: {ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى} [النجم: 31]، ولهم زيادة على هذه الحسنى، وهي فوق ما يستحقونه على أعمالهم بعد مضاعفتها التي هي من جزائها مهما تكن حسنة" [38]، كما قال{: فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله}[النساء: 173].

و زيادة في التوضيح، فقد أورد صاحب المنار أحاديث كثيرة من طرق عديدة تثبت أن هذه الزيادة "هي النظر إلى وجه الله الكريم، وهو أعلى مراتب الكمال الروحاني الذي لا يصل إليه المتقون المحسنون العارفون إلا في الآخرة، وقد فصلنا القول فيه في تفسير سورة الأعراف الهيئة بما يقربه من العقل والعلم العصري، ويدحض شبهات المعتزلة المنكرين له بزعمهم أنه محال عقلا، وما هذا المحال إلا نظريات عقولهم التي تقيس عالم الغيب على عالم الشهادة، وقد ظهر في هذا العصر من علوم المادة ما لم يكن يقبله عقل من العقول المقيدة بتلك النظريات المتولدة من الفلسفة اليونانية والكلام الجهمي، فكيف يكون عالم الغيب الإلهي مقيدا بها؟"[39].

المبحث الثالث: مقاصد الدعوة:

- **تحقيق التوحيد.**

يعدُّ توحيد الله تعالى من أعظم ما ينبغي على المسلم التمسك به و الدعوة إليه؛ بل هو حقٌّ الله على العبيد أوّل وآخر واجبٍ على المسلم، وهو الذي من أجله أُرسلَتْ الرّسل، وأُنزلت الكتبُ، وخُلقت الجنّة والنّار.

---

[37] -المرجع السابق، ص287.

[38] -المرجع نفسه، 288.

[39] -المرجع نفسه، ص112.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ويُقصد بالتوحيد، كما عرفه العلماء، إفراد المعبود بالعبادة مع اعتقاد وحدته ذاتاً وصفاتاً وأسماء وأفعالاً، لهذا اعتنت الدّعوة الإسلامية أشدّ العناية بالتّوحيد؛ بل تجعله الأساس والمنطلق لدعوة النّاس ومخاطبتهم و الحديث إليهم و معهم، كما يؤكد القرآن الكريم على أن أيِّ مخاطبة للنّاس وتوجّه لهم لا يقوم على التّوحيد ويرتكز عليه فإنّه تَوَجُّهٌ مُجانبٌ للحقّ والصّواب، وبناءً على ذلك فإنّ هدف الدّعوة الأساس هو دعوة النّاس جميعاً لتوحيد الله تعالى، وتعليمه، وشرحه وبيانه، وإيضاح مقاصده ونتائجه وثمراته اليانعة، والتّحذير مما يضادّه ويخرمه، قال تعالى: {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ، وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ}[فصلت: 06].

وقد ورد في تفسير قوله تعالى: {قل}" يا محمد لهؤلاء المكذبين المشركين {إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد} لا ما تعبدونه من الأصنام والأنداد والأرباب المتفرقين، إنما اللّه إله واحد {فاستقيموا إليه} أي أخلصوا له العبادة على منوال ما أمركم به على ألسنة الرسل، {واستغفروه} أي لسالف الذنوب، {وويل للمشركين} أي دمار لهم وهلاك عليهم {الذين لا يؤتون الزكاة} قال ابن عباس: يعني الذين لا يشهدون أن لا إله إلا اللّه، كقوله تبارك وتعالى: {فقل هل لك إلى أن تزكى} والمراد بالزكاة هنا طهارة النفس من الأخلاق الرذيلة، ومن أهم ذلك طهارة النفس من الشرك، وزكاة المال إنما سميت زكاة، لأنها تطهره من الحرام، وتكون سبباً لزيادته وبركته وكثرة نفعه، واستعماله في الطاعات"[40].

فعلى ما سبق، فإن التَّوحيد هو أساس الدعوة و غايتها.

ومما لا يخفى على ذي لب، بأن القرآن العظيم والسنّة النبويّة حافلان بالحديث عن الإيمان بوحدانية الله تعالى والدّعوة إليه باعتباره هدفاً عظيماً يترتّب على تحقيقه صلاح حياة المسلم في دنياه وأخراه، لذلك تهدف الدّعوة إلى الاهتمام بالإيمان من جميع النّواحي، ويشمل ذلك بيان معانيه وأهمّيته وفضله وحاجة المسلم إليه وإلى التزوّد منه، والحذر من نواقضه قال تعالى: {قُلْ آمِنُواْ بِهِ أَوْ لاَ تُؤْمِنُواْ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّداً (107) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً (108) وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً (109) قُلِ ادْعُواْ اللّهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَـــنَ أَيّاً مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً (110) وَقُلِ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَم يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلَّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً (111)}[الإسراء: 107-111].

40-تفسير ابن كثير، سورة فصلت.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

و مما يستشف من الآيات السابقة، أنه من الضروري على الداعية الموفّق أن يركِّز على عنصر الإيمان بوحدانية الله تعالى، فهو الهدف العظيم الذي توليه الدّعوة الإسلامية القويمة أهمّيةً بالغة، في حياة الأفراد والجماعات والأمم.

يلفت الداعية الأنظار إلى أسباب الإيمان بالله تعالى، وهي من واجبات الداعية الناجح، وزيادته في النّفوس واستشعار عظمة الرّب تبارك وتعالى لتحصل معيّتُهُ وبركته، كما تهتمّ الدّعوة بالتحذير مِمّا يناقض الإيمان ويخدشه وبخاصّة تيّارات الكفر والإلحاد والأهواء والشّبهات.

- الهداية والإصلاح.

لا يغيب عن ذهن أيّ داعية أنّ الهداية بيد الله تعالى، وما مهمة الدّاعية إلاّ بيان الحقّ والدّلالة عليه دون التكفّل بالهداية وضمان الاستجابة، والدّاعية الحريص على هداية الخلق هو الذي يجتهد في إيصال الخير لهم وشرحه وبيانه وإيضاح فضائل ومحامد الدّخول في دين الإسلام وعواقب التخاذل أو عدم الدّخول فيه.

بعث اللهُ تعالى نبيّه ورسوله محمداً، صلّى الله عليه وسلم، إلى النّاس كافّة رجاء هدايتهم إلى الدّين الإسلاميّ الحنيف، كما قال سبحانه: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاّ كَافّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ}[سبأ: 28].

يقول تعالى لعبده ورسوله محمد، صلوات الله وسلامه عليه: {وما أرسلناك إلا كافة للناس}: أي: إلا إلى جميع الخلق من المكلفين، كقوله تعالى: {قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا} [الأعراف: 158]، {تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا} [الفرقان: 1]. {بشيرا ونذيرا} أي تبشر من أطاعك بالجنة، وتنذر من عصاك بالنار.

{ولكن أكثر الناس لا يعلمون}، كقوله تعالى: {وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين}[يوسف: 103]، وقال: {وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله} [الأنعام: 116].

قال محمد بن كعب في قوله: {وما أرسلناك إلا كافة للناس} يعني: إلى الناس عامة. [41]

و من هنا؛ ندرك بأن الهداية والإصلاح بيد الله تعالى وما على الداعية إلا البلاغ، وفي هذا ويقول تعالى لرسوله، صلوات الله وسلامه عليه: إنك يا محمد} إنك لا تهدي من أحببت } أي: ليس إليك ذلك، إنما عليك البلاغ، والله يهدي من يشاء، وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة، كما قال تعالى: {ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء} [البقرة: 272]، وقال: {وما أكثر الناس

[41] -ينظر تفسير ابن كثير.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولو حرصت بمؤمنين} [يوسف: 103] [42]، ومنهج الدّعوة الرباني لا يحمّل الدّاعية هداية النّاس ولو كان مُحِبّاً لهم لقرابتهم أو مودّتهم؛ فإن ذلك ليس بيده أو مشيئته بل بيد الله تعالى ومشيئته.

- إقامة الحجة.

حينما تتّجه الدّعوة إلى النّاس، وتصلهم عقيدة الإسلام، ويعرفون دين الله تعالى، فإنّ الحجّة تقوم عليهم بذلك، ويُعْذَرُ الدّعاة، وهذا من أهداف منهج الدّعوة الأصيل، الذي سار عليه الأنبياء والرّسل عليهم الصّلاة والسّلام في دعواتهم لأقومهم.

والواجب على الدّعاة أن ينهضوا لتحقيق هدف منهج الدّعوة الأسمى وهو إقامة الحجّة الواضحة البيّنة الهادئة على النّاس، امتثالاً لأمر الله تعالى وإعذاراً له سبحانه. ولكن ينبغي أن يُعْلَمَ أنّ إقامة الحجّة على النّاس تتطلّب سلوك الطّرق الحكيمة في الدّعوة والأساليب المؤثّرة، والوسائل العمليّة النّافعة حتّى يتحقّق قيام الحجّة على النّاس.

المبحث الرابع: قواعد الدعوة:

المطلب الأول: الإخلاص. تتجلى حقيقة الإخلاص، في الدعوة وفي غيرها، في تصفية الفعل من ملاحظة المخلوقين، قال تعالى: {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ} [البينة: 5]، وقال سبحانه: ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ * وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴾]الزمر: 11، 12].

و تأسيسا على ما سبق؛ فإن الإخلاص يُعتبر ضرورة للمسلم بصفة عامة ولحملة الدعوة بصفة خاصة، قال تعالى: {فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ} [غافر: 14]، وقال صلى الله عليه وسلم: «إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصا وابتغي به وجهه»[43].

يظهر للمتدبر في القرآن الكريم أنه من صيغة "الإخلاص" في القرآن الكريم، وردت صيغتا المخلِص بكسر اللام والمخلَص بفتحها. كما في قوله تعالى: {فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ} [غافر، 40 / 14]، بفتح اللام في قوله تعالى: «مُخْلِصِينَ»، وقوله تعالى: {وَلَقَدْ هَمَّتْ

---

[42] -المرجع نفسه.

[43] - أخرجه الإمام النسائي في سننه كتاب الجهاد، باب من غزا يلتمس الأجر والذكر.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ} [يوسف: 12 / 24].

و قد بيَّن العلماء الفرق بينهما:

قال ثعلب يعني بالمخلِصين: الذين أخلصوا العبادة لله تعالى، ويعني بالمخلَصين: الذين أخلصهم الله عز وجل.

وقال الزجاج: المخلَص الذي أخلصه الله، أي جعله مختارا، خالصا من الدنس. والمخلِص: الذي وحَّد الله تعالى، ولذلك قيل لسورة {قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ}: سورة الإخلاص، لأنَّها خالصة في في صفة الله تعالى[44].

ويبقى الإخلاص من آكد صفات الدعاة إلى الله تعالى، لأن من أخلصهم الله عز وجل له، واصطفاهم بحمايته لهم، قد أخلصوا لله العمل والطاعة، وتقربوا إليه بشتى صنوف العمل الصالح واعتمدوا عليه، و لم يروا سواه تعالى فيما يأتون أو يدعون، ولسان حالهم ظاهرا وباطنا، ليلا و نهارا، يقول: {قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ. وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ} [الزمر: 11-12]. مستجيبين لأمر الله حينما قال: {إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ} [الزمر: 39 / 2]. بل يوقنون يقينا جازما بأن الله لا يقبل إلا ما كان خالصا لوجهه، بناء على معرفتهم التامة وإيمانهم الراسخ بقوله تعالى: {أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ...} [الزمر،: 3].

وقد أدرك إبليس اللعين، منذ أمد بعيد، هذه المفاهيم ونتائجها، ولذلك لما هدَّد وتوعَّد بإغراء الخلق وإفسادهم استثنى هؤلاء، لأنه يعلم أن الله تعالى لإخلاصهم سيُخَلِصُهم، فقال: {إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ} [الحجر: 40].

المطلب الثاني: العلم. يُعتبر العلم ركن ركين من أركان الدعوة وقواعدها التي ينبغي على الدّعاة فقهها والعمل بموجبها، إذْ إنّ كثيراً من الأضرار التي لحقت بالعمل الدّعوي إنما سببها الجهل وعدم العلم وانعدام البصيرة، قال تعالى: {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللّهِ وَمَا أَنَا مِنْ الْمُشْرِكِينَ} [سورة يوسف: 108].

و السير على منهاج العلم والبصيرة في الدّعوة يقتضي من الدّاعية جملةَ أمورٍ هامّةٍ، نجملها فيما يلي باختصار:

- ✓ العلم بحقيقة الدعوة وبمكوناتها ومضامينها، والعلم بالمعروف الذي يُؤمر به، والمنكر الذي يُنهى عنه.

---

44 - لسان العرب، مادة: خلص.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

- ✓ العلم بمن توجه لهم الدعوة، و بحالهم، لأن العلم بحالهم ضرورة سواء أكانوا من أمّة الدّعوة أم من أمّة الاستجابة.
- ✓ العلم بالدّاعية نفسه، وقدراته وإمكاناته وتهيئته للعمل.
- ✓ العلم بالأساليب والوسائل المستعملة في الدّعوة.

المطلب الثالث: الرفق. يُقصد بالرفق في الدّعوة اشتمال الدّين الإسلامي الحنيف على الرِّقة والعطف بالخَلْق، ودعوتهم بكلّ مسلك فاضل طيّب مع عدم الإساءة إلى أحد من النّاس، قال سبحانه: {وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلاَ تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ} [النور: 22].

ولو تأملنا في تاريخ دعوة الإسلام، وفي القرآن الكريم على وجه الخصوص، لوجدنا أنَّ منهج الدعوة يستند على الرحمة بالخَلْق، و العطف عليهم، بعيداً عن العنف والقسوة والغلظة؛ قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ}، و قال تعالى: {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ} [الفتح: 29]، وقال الله سبحانه: {وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ} [الشورى: 43]، وقال عزَّ وجلَّ: {فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [المائدة: 13].

ويُطلب من الداعية الحق أن يتزين بخُلق رحمة النّاس أثناء دعوتهم سواء أكانوا مسلمين أم غير ذلك، حتّى يكون ترجماناً لمنهج الدّعوة القويم الذي يدعو من خلاله الناس، قال تعالى مخاطبا نبيه{فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكّلْ عَلَى اللّهِ إِنّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكّلِينَ}[سورة آل عمران: 159].

تشتمل الدّعوة الإسلامية، انطلاقا مما سبق ذكره، على خصيصة الرّحمة سواء في محتواها أو في طريقة نشرها وإيصالها للنّاس، وهذه الرّحمة تنافي كلّ ما يضادّها ويناقضها من العنف والإكراه والقسوة و الغلظة، وعدم الرّأفة بالناس أو تحميلهم ما لا يطيقون أو ما لا يفهمون، فكلّ تلك الأمور ليست من سبيل الدّعوة القويمة التي جاءت بالهدى والرّحمة للنّاس، وقال سبحانه: {وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [آل عمران: 134].

المطلب الرابع: مراعاة حال المدعوين. و يُقصد بهذه القاعدة أن يكون الدّاعية على علمٍ ومعرفةٍ بأحوال وظروف من تتوجّه لهم الدّعوة، ومَنْ يُقْصدون بالخطاب والبلاغ، وذلك قبل دعوتهم ومخاطبتهم.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولأهمية هذه القاعدة في وظيفة الدعاة فإنَّها تستلزم ما يلي:

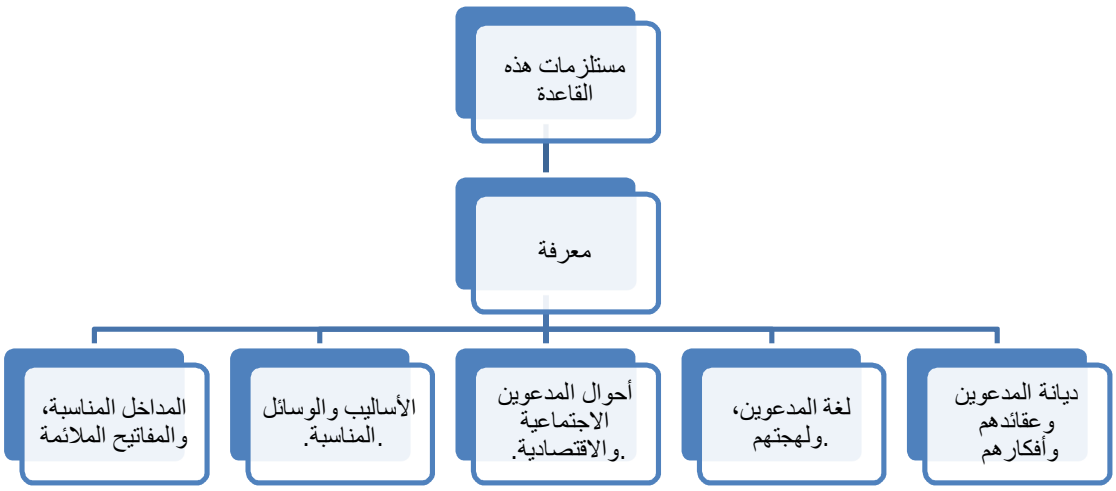

و يُستنبط من هذا المخطط، أنّ دعوة النّاس ومخاطبتهم ينبغي أن تكون على قدر عقولهم وأفهامهم وإدراكهم حتّى يستوعبوها ويفهموها ويطبقوها، وتتمّ بذلك الفائدة، وتؤتي الدّعوة ثمرتها وأُكُلَها، ومردّ ذلك كلّه إلى أن الناس مختلفون في عقولهم، متفاوتون في أفهامهم، متنوّعون في توجهاتهم ومشاربهم واتّجاهاتهم، فينبغي للدّاعية مراعاة ذلك، والتنبّه له وألاّ يُغفله أو يتركه.

المبحث الخامس: مجالات الدعوة:

المطلب الأول: الإيمان. يُعتبر الإيمان من أهم مجالات الدعوة بل هو غايتها الأولى و الأخيرة، وقد بيَّن القرآن الكريم في جميع سوره أنه ينبغي على الدَّاعية أن يدعو الناس للإيمان بالله تعالى و توحيده،

المطلب الثاني: التقوى. وقاهُ اللهُ وَقْياً وَوِقايةً وواقِيةً: صانَه؛ قال أَبو مَعْقِل الهُذلِيّ: فَعادَ عليكِ إنَّ لكُنَّ حَظّاً، وواقِيةً كواقِيةِ الكِلابِ وفي الحديث: فَوقَى أَحَدُكم وجْهَه النارَ؛ وَقَيْتُ الشيء أَقِيه إذا صُنْتَه وسَتَرْتَه عن الأَذى، وهذا اللفظ خبر أُريد به الأمر أي لِيَقِ أَحدُكم وجهَه النارَ بالطاعة والصَّدَقة[45].

لو نظرنا إلى القرآن الكريم، وما فيه من كلمات التقوى ومشتقاتها (مثل اتقى، وقى، يقي، قِ، اتقى، يتقي، اتقوا،. . .) لوجدنا أنَّ كلمة التقوى ومشتقاتها وردت في القرآن الكريم أكثر من

[45] -لسان العرب، مادة وقى.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثلاثمئة مرة، منها قوله تعالى: {وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ} [النساء: 1]، وقول عزَّ وجلَّ: {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ} [الحجرات: 13].

وما يجب أن نفهمه فهماً دقيقاً، هو أن التقوى من فعل وقى، وفعل وقى من الوقاية وأخذ الحذر، إذاً كأن هناك خطراً محدقا، ينبغي الحذر منه و تحذير الناس منه، قال تعالى: {وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ}[سورة الطور: 18]، وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} [الأنفال: 29].

المطلب الثالث: العبادة. وهي: دعوة لبناء النفس والإنسان الصالح لإقامة خلافة لله في الأرض، قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ} [البقرة: 30]، وهي، أيضا، دعوة لتحرير النفس البشرية من رق العبودية والذلة لغير خالقها، تحريرها من سلطان الشيطان عليها بكيده ومكره، و نفخه و نفثه، قال سبحانه: {إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ للهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ} [يوسف: 40].

وتحريرها من الخوف من ذوي السلطان والطاغوت الذين لا يملكون لأنفسهم ضرًا ولا نفعًا، وقال جل ثناؤه: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} [آل عمران: 64].

وتحريرها من تقديس الذات والمال واللهث وراء أعراض الدنيا الفانية القليلة، وتحريرها من الخوف والطمع إلا في خالقها وموجدها سبحانه وتعالى، وآيات القرآن فيها من هذا كثير: قال الله سبحانه وتعالي: {وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاَءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللهَ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} [يونس: 18].

فلا ينبغي على الإنسان الارتباط بالمخلوق مهما كانت درجته، لأنَّ هذا المخلوق لا ينفع و لا يضر إلا بإذن الله تعالى، قال عز وجل: {مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ * قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ مَا لاَ يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلاَ نَفْعًا وَاللهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [المائدة: 75، 76].

لهذا وجب دعوة الناس إلى عبادة الله وحده، والابتعاد كل البعد عن الشرك أو اتخاذ الند لله تعالى، وما ينبغي له سبحانه، قال تعالى: {وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلاَئِكَةِ أَهَؤُلاَءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ * فَالْيَوْمَ لاَ يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلاَ ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ}]سبأ: 40-42].

بل وبالغ القرآن في نفي العبث واللهو في الخلق والأمر عن الذات الإلاهية فقال تعالى: {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ *مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ. . . } [الحجر: 85]، فالكون والإنس والجن، والنجوم والأفلاك، والجبال والبحار، والسماوات والأرض جميعًا، خلقها الله تعالى لحكمة جليلة، وغاية نبيلة، كما أخبر تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات: 56].

هذه هي إذاً، غاية الوجود الإنساني والبشري على هذه الأرض، إنها غاية العبودية لله تعالى وحده لا شريك له، ومن هنا كانت الدعوة إلى هذه الغاية الربانية الجليلة، هذه معاني وملامح الدعوة الإسلامية التي بينها القرآن الكريم، و أنشأها الله تعالى على يد نبيه ورسوله صلى الله عليه وسلم، وأصحابه الأطهار رضي الله عنهم.

المطلب الرابع: الأخلاق. ويمكننا تعريف الأخلاق بأنها: مجموعة من المعاني والصفات المستقرة في النفس، وفي ضوئها، وميزانها يحسن الفعل في نظر الإنسان أو يقبح، ومن ثم يقدم عليه أو يحجم عنه.

و ما ينبغي الإشارة إليه في البداية هو أن "العبادات التي شرعت في الإسلام و اعتبرت أركانا في الإيمان به ليست طقوسا مبهمة من النوع الذي يربط الإنسان بالغيوب المجهولة، و يكلفه بأداء أعمال غامضة، وحركات لا معنى لها، كلا، فالفرائض التي ألزم الإسلام بها كل منتسب إليه، هي متكررة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لتعويد المرء أن يحيا بأخلاق صحيحة، و أن يظل مستمسكا بهذه الأخلاق، مهما تغيرت أمامه الظروف "[46].

ولهذا كان المنهج السديد في إصلاح الناس وتقويم سلوكهم، وتيسير سُبُل الحياة الطيبة لهم، أن يبدأ المصلحون بإصلاح النفوس وتزكيتها، وغرس معاني الأخلاق الجيدة فيها، ولهذا أكد الإسلام على إصلاح النفوس، قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ} [الرعد: 11]، وبيَّن أن تغيُّر أحوال الناس من سعادةٍ وشقاء، ويسرٍ وعسر، ورخاءٍ وضيق، وطمأنينةٍ وقلق، وعز وذل، كل ذلك ونحوه تبع لتغيُّر ما بأنفسهم من معان وصفات. [47]

إن من أَجَلّ الغايات التي تريد الرسالة الإسلاميَّة تحقيقها: تلك الغايةَ الإنسانيَّة السامية وهي:

أن يكون للإنسان خُلقٌ كريم، وسُلوكٌ نظيف يليق بكرامة الإنسان، ويتفق مع ما خُلِق له من خلافة في الأرض، وهذه هي الغاية التي حاولها الفلاسفة، والعلماء، والمصلحون عبر قرون مضت، و لم يبلغوا فيها شأوًا، أو يصلوا إلى تحقيق هذا الأمل المنشود.

إن عناية الإسلام وحرصه على تحقيق هذه الغاية الخُلقيَّة النبيلة يقصد بها: إيجاد عناصر قوية، وأفراد صالحين؛ كي يستطيعوا أن يسهموا بقلوبهم وعقولهم في ترقية الحياة وإعلامها، وليكونوا أهلاً لجواره ورضوانه فيما وراء هذه الحياة.

وقد اكتسب النبي - صلى الله عليه وسلم - أخلاقه ومكارمها من الدعوة القرآنيَّة إليها، وإلى التخلُّق بها؛ حتى كان خلقه القرآن، وحتى مدحه ربُّه - سبحانه - بقوله: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} [القلم: 4]، و يُعتبر الشرف والنزاهة من أهم مطالب الإنسان و مقاصده، والاستعلاء على الهوى والشهوة، وعرفان الحق والواجب، والاستمساك بأهداف الفضيلة، والاندماج في جوٍّ روحيٍّ خالصٍ بعيد عن نقائص المادة، وشوائب الروح، والْمُثُل العلى للجماعة: هو التعاون، والإيثار، والتضحية، وإنكار الذات، والمحبة والمودة، والصدق والإخلاص، والأمانة، والوفاء، والتسامح، وسلامة الصدر.

---

[46] -خلق المسلم، محمد الغزالي، ص: 07.

[47] -ينظر: أصول الدعوة"؛ د. عبد الكريم زيدان.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وهذا كله من آثار الاستجابة الكاملة للدعوة القرآنيَّة الهادية، التي تأخذ الأفراد والجماعات إلى المثالية الفاضلة في الإسلام، وتحقيق المثل الأعلى في جانبيه يثمر الحياة الطيبة، ويحقق المجد والسيادة، والقيادة والتمكين في الأرض[48]، وفي ذلك حديث النبي - صلى الله عليه وسلم -: "إنما بُعثت؛ لأتمم مكارم الأخلاق"[49].

لقد كثرت الآيات القرآنيَّة المتعلقة بموضوع الأخلاق، أمرًا بالجيد منها، ومدحًا للمتصفين بها، ومع المدح الثواب، ونهيًا عن الرديئ منها، وذم المتصفين بها، ومع الذم العقاب، وكذا السُّنة النبويَّة، ولكنها ليست محور حديثنا كما أشرت من قبل، إنما محور الكلام كله مع القرآن وآياته، وإليك هذه الجملةَ الطيبة من الأمثلة الأخلاقيَّة في القرآن والدعوة إلى حسنها، وذم قبيحها:

ففي الوفاء و الحث عليه يقول الله تعالى: {وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا} [الإسراء: 34]، وقوله سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُود}]المائدة: 1]، وقوله تعالى: {وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ} [المعارج: 32].

و قد وجدنا القرآن الكريم، أيضا، ينهى عن القول بغير علم في قوله تعالى: {وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا} [الإسراء: 36]، وقوله تعالى: {وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ} [النحل: 116].

بل وجدنا القرآن الكريم يذم كل متشبه بصفات المتعجرفين المتكبرين، قال تعالى: {وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا}[الإسراء: 37]، وينهى عن الشح و التقتير و صرف المال في وجه حق قال تعالى: {وَآَتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا * إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا} [الإسراء: 26 - 27]، وقوله تعالى: {وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا} [الإسراء: 29].

---

48 -ينظر: عناصر القوة في الإسلام"؛ السيد سابق.

49 - رواه أحمد، والحاكم.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

و يحث على العدل في معاملة الناس قولا وفعلا قال تعالى: {وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى} [الأنعام: 152]، وقال سبحانه: {وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى} [المائدة: 8]، وقال سبحانه: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ} [النحل: 90]، وقوله تعالى: {وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ} [الشورى: 15].

ويدعو إلى التعاون على البر والتقوى وما ينفع الناس، والنهي عن التعاون على البغي والعدوان، قال تعالى: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ} [المائدة: 2].

ونهى القرآن الكريم عن الظلم لأنه ظلمات يوم القيامة، وعاقبته وخيمة، قال - تعالى:- {وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ} [الشعراء: 227]، وقال تعالى: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ} [الأنعام: 21]، وقال عز وجل: {تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} [البقرة: 229]، وقال - تعالى:- {وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ} [المائدة: 72].

و أمر بالصدق و حث عليه لأنه من علامات الإيمان وثمراته، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ} [التوبة: 119]، وقال سبحانه: {وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا} [الإسراء: 80].

و نهى و حذَّر الناسَ من الكذب لأنَّه رذيلةٌ لا ينال صاحبها هداية الله، ويثمر النفاق في القلب قال سبحانه: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ}[غافر: 28]، وقال تعالى: {فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ} [التوبة: 77].

و لهذا على الداعية أن يعلو من قيمة الأخلاق كما أعلى القرآن من شأنها كإعلاء مقام الصبر عند المصيبة، والرضا بالقضاء والقدر، قال تعالى: {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ} [البقرة: 155 - 157]، وقال عز وجل: {وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ}[البقرة: 177]، وقال سبحانه: {أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا} [الفرقان: 75].

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الدعوة القرآنيَّة إلى جماع الأخلاق والفضائل يأتي في جملة آيات منها:

قوله تعالى في وصف المجتمع الإسلامي بالآداب الفاضلة: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ} [الحجرات: 11 – 12].

ومنها - أيضًا - في وصف المؤمنين الكاملين قوله تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [المؤمنون: 1 – 11].

ومنها قوله تعالى: {لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ} [البقرة: 177].

ومنها قوله عز وجل: {قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُم مِّنْ إِمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * وَلاَ تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [الأنعام: 151 – 152].

ومنها كذلك وجماعها في وصف عباد الرحمن، وبيان صفاتهم وأخلاقهم قوله سبحانه: {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا * وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا * إِنَّهَا سَاءَتْ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا * وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا * وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا * إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا * وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا * وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا * وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا * أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا * خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا}[الفرقان: 63 – 76].

تلك هي بعض الآيات القرآنية العظيمة الهادية والداعية إلى التخلُّق بكل خلقٍ نبيل، وأدبٍ كامل؛ والقرآن مملوء بعشرات الآيات في هذا الجانب الأخلاقي لمن تتبَّع واستقرأ ذلك بدقة[50].

[50] -ينظر: مجالات الدعوة في القرآن وأصولها؛ عاطف الفيومي.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث السادس: أساليب الدعوة: تقسم أساليب الدعوة في القرآن الكريم إلى ثلاثة أقسام:

المطلب الأول: الأساليب العاطفية: هي مجموعة الأساليب الدعوية التي ترتكز على القلب، وتحرك الشعور والوجدان. ومن أبرز الأساليب العاطفية ما يلي:

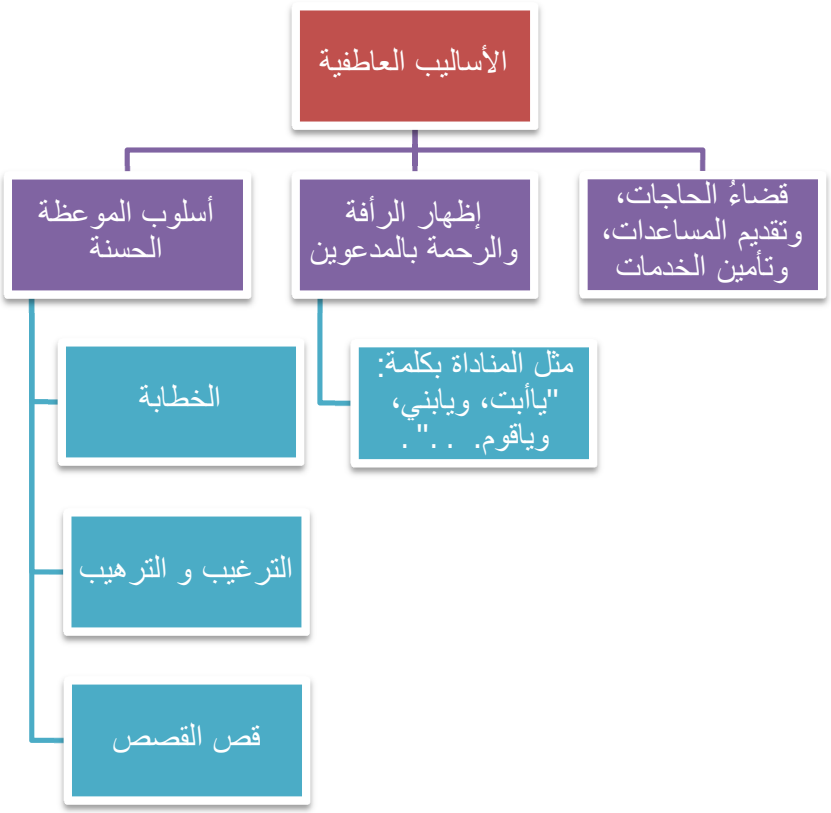

يحسن بالداعية أن يتعرف على الحالات المتعددة، و المواطن المتنوِّعةِ، التي تُستعمل فيها هذه الأساليب العاطفية، وأن يدركها فهما و علما، ليتمكن من استخدام المنهج المناسب في الموطن المناسب، ومن هذه المواطن والحالات:

1. حالة دعوة الجاهل[51]: لأنّ الجاهل بحاجة إلى الرفق والاهتمام به، وتعليمه ما يفيده عن طريق ترغيبه بالعلم، ووعده بالخير الكبير من ورائه. . .
2. حالة دعوة مَنْ تُجْهلُ حاله، ولا يُعرَفُ مستوى إيمانه قوةً أو ضعفاً.
3. في دعوة أصحاب القلوب الضعيفة كالنساء والأطفال، واليتامى والمساكين، والمصابين والمرضى. . . وما إلى ذلك. . .
4. في دعوة الآباء للأبناء، ودعوة الأبناء للآباء، ودعوة الأقارب والأرحام والأصدقاء فيما بينهم.

---

[51] - **ينظر:** من محاضرات مناهج الفكر في الحضارة الإسلامية أ. د/صلاح أبوزيد، https: //forum. taibahu. edu. sa/showthread. php?t=6859

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

5. في مواطن ضعف الدعوة، والشدة على المدعوين.

من خصائصها:

1. لطف أسلوبها، واختيار العبارات المؤثرة.
2. سرعةَ تَأثُّرِ المدعوين بها، واستجابتهم لمن يُحسنُ استخدامها.
3. تخفيف وطأة العدوّ أو المخالف، ودفع أذاه.
4. سرعة التحول في آثاره تبعاً لتحول العواطف والمشاعر. . .
5. سعة دائرة استعمالها، لأن الطابع العاطفي في الناس أغلب من غيره.

المطلب الثاني: الأساليب العقلية: هي مجموعة الأساليب الدعوية التي ترتكز على العقل، و الاستدلال المنطقي، وتدعو إلى التفكُّر والتدبُّرِ والاعتبار، ومن أبرز أساليب المنهج العقلي ما يلي:

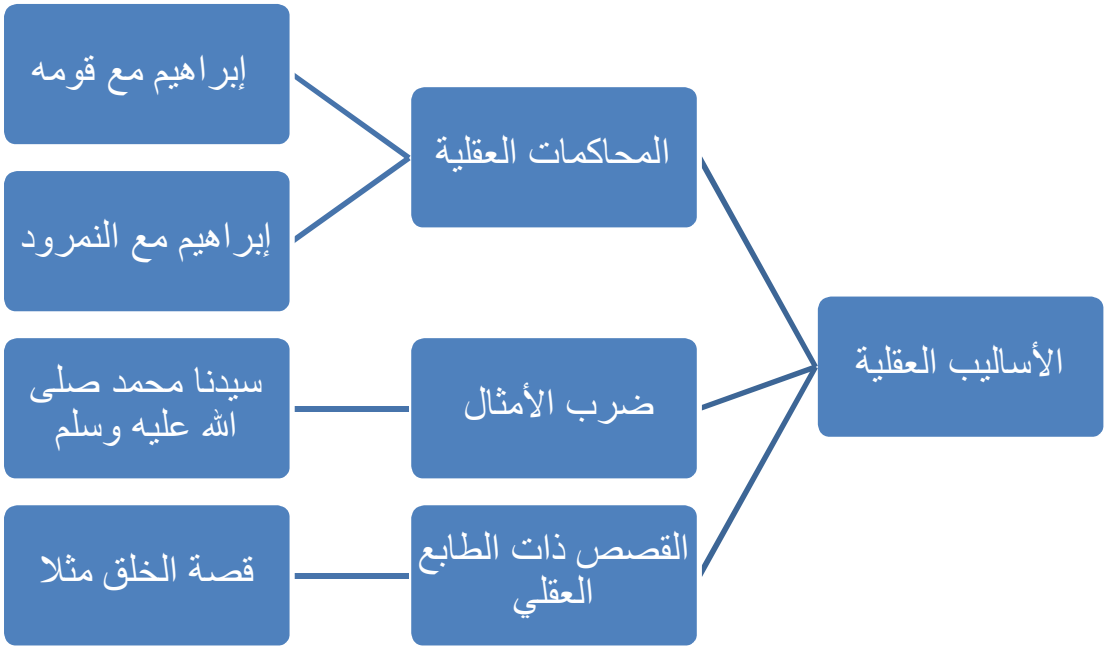

تُستعَملُ هذه الأساليب العقلية في مواطنَ متعددةٍ، منها:

1. في مواطن إنكار المدعوين للأمور الظاهرة، والبدهيات العقلية.
2. مع المُعْتَدِّين بعقولهم وأفكارهم من المدعوين، لأنهم أسرع مَنْ يتأثر بالمنهج العقلي السليم.
3. مع المُنْصِفين من الناس[52]، البعيدين عن التعصب لآرائهم، والمتجردين من الأغراض الخاصة.
4. مع المتأثرين بالشبهات، والمخدوعين بالباطل.

للمنهج العقلي خصائص ومزايا تختلف عن خصائص غيره من المناهج الأخرى، منها:

1. اعتماده على الاستنتاجات العقلية، والقواعد المنطقية، والفطرية.

[52] - ينظر: من محاضرات مناهج الفكر في الحضارة الإسلامية أ. د/صلاح أبوزيد، https: //forum. taibahu. edu. sa/showthread. php?t=6859

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

2. عمق تأثيره في المدعوين، ورسوخ الفكرة التي يوصل إليها عن طريقه، إذ ليس من السهل تغيير القناعة والأفكار.

3. إفحام الخصم المعاند.

4. ضيقُ دائرته بالنسبة لدائرة المنهج العاطفي، وإن كان هذا الضيق أو السعة تختلف من قومٍ لقومٍ.

المطلب الثالث: الأساليب الحسية أو (التجريبية): هي مجموعة الأساليب الدعوية التي ترتكز على الحواسِّ وتعتمد على المشاهَدات والتجارب. وللمنهج الحسي أساليب عديدة، منها:

1. لَفْتُ الحِسِّ إلى التعرُّفِ على المحسوسات، للوصول عن طريقها إلى القناعات.

2. أسلوب التعليم التطبيقي، على وجهٍ يشاهِدُ المدعو كيفية تطبيق الفعل المأمور به، والمدعو إليه، كما فعل، صلّى الله عليه وسلم، في دعوته لتعلُّمِ الصلاة، والحج.

3. القدوة العملية في تعليم الأخلاق والسلوك: كما جَعَلَ اللهُ رسوله، صلى الله عليه وسلم، قدوةً عمليةً للمؤمنين.

مواطن استخدام المنهج الحسّي عديدةٌ متنوعةٌ منها:

1. في تعليم الأمور التطبيقية العملية والدعوة إليها، وكُلّما كان الأمرُ المدعو إليه دقيقاً وهاماً، كانت الحاجة إليه أشد، كما فعل، صلّى الله عليه وسلم، في تعليم الوضوء، والصلاة، والحج. . .

2. يُستخدم في دعوة العلماء والمتخصِّصين في العلوم التطبيقية التجريبية، ويعين في ذلك الاستدلال بالإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

3. يُستخدم في دعوة المتجاهلين للسنن الكونية، والمنكرين للبدهيات العقلية، فإنّ المعاندين لاتفيد معهم إلا الحقائق المعتمدِةُ على الملموسات والمحسوسات.

من أبرز خصائص هذا المنهج الحسّي الدعوي:

1. سرعة تأثيره ذلك لاعتماده على المحسوسات التي يُسَلِّمُ بها كل إنسانٍ عادةً.

2. عمق تأثيره في النفوس البشريّةِ، لمعايَنَتها الشيء المحسوس.

3. سعة دائرته، لإشتراك الناس جميعاً في أنواع الحسِّ أو بعضها، لا يتخلّفُ عن هذا كبير أو صغير، ولا عالم أو جاهل. . .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث السابع: موقف المدعوين من الدعوة:

المستجيبون للدعوة:

إن المتصفح للقرآن الكريم يجد أنَّ الذين استجابوا للدعوة هم دائما الأقلية بدليل قوله تعالى، مثلا،: {حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ} [سورة هود 40]، ويقول الله سبحانه وتعالى: {فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ واللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ} [البقرة 249].

تسلط هذه الآية الكريمة الضوء على قضية مهمة من حياتنا، هي قضية (الكم والكيف)، وعلى العلاقة الجدلية بينهما؛ فحين خرج طالوت لحرب جالوت خرجت معه الألوف المؤلفة من الجند (كم) فأراد أن يعرف عن نوعية الرجال الذين سيقاتل بهم فابتلاهم بالشرب من النهر، فشرب منه السواد الأعظم منهم، و لم ينجح في ذلك الامتحان سوى ثلاثمائة وبضع عشر رجلاً - كعدة أصحاب بدر - وكان موقف هذه القلة القليلة من جيش جالوت الموقف الذي يتناسب مع كيفهم، فقالوا: {كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ} [البقرة 249]، هذه الفئة القليلة هي الغالبة لما نالت من تأييد الله ونصره؛ لنصرها دينه واستحواذها على شروط النصر.

وفي ختم الآية قال تعالى: {واللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ} [البقرة 249]إشارة إلى أن هذه الفئة كانت تتحلى، في جملة ما تتحلى به، بالصبر الضروري لمجالدة العدو، نجد نفس المعنى في قصة سيدنا نوح، عليه الصلاة والسلام، قال تعالى: {فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَراً مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ}[سورة هود الآية: 27]، وقال أيضا: {وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْراً اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ}[سورة هود الآية: 31].

و قد بيَّن القرآن الكريم منهم الذين يستجيبون للدعوة و يسيرون في طريق الهداية و الرشاد، قال تعالى {قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا ۚ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا}[الإسراء: 107]

ونلاحظ في الآية أمراً للنبي بتخيير المدعوين، " قل يَا مُحَمَّد لِهَؤُلَاءِ الْكَافِرِينَ مهما سألوك المعجزات عند دعوتهم بهذا القرآن سَوَاء آمَنْتُمْ بِهِ أَمْ لَا فَهُوَ حَقّ فِي نَفْسه أَنْزَلَهُ اللَّه وَنَوَّهَ بِذِكْرِهِ فِي كُتُبه الْمُنَزَّلَة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عَلَى رُسُله لذا فإنه اذا يتلى على صَالِحِي أَهْل الْكِتَاب الَّذِينَ تَمَسَّكُوا بِكِتَابِهِمْ وَيُقِيمُونَهُ وَلَمْ يُبَدِّلُوهُ يَخِرُّونَ سُجَّدًا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ"[53].

يُخْبِر تَعَالَى عَنْ الْعُلَمَاء الْأَوْلِيَاء مِنْ أَهْل الْكِتَاب أَنَّهُمْ إذا يتلى عليهم القرآن يُؤْمِنُونَ به ويقولون: إنا كنا مِنْ قَبْل هَذَا الْقُرْآن مُسْلِمِينَ أَيْ مُوَحِّدِينَ مُخْلِصِينَ لِلَّهِ مُسْتَجِيبِينَ لَهُ [54]، قال تعالى: {وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ}[القصص: 53].

و يعتبر بعض الجن ممن استجاب للدعوة، وذلك لَّما رجع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، من الطائف مهموماً، بعدما لقي الإعراض من أهل الطائف برفضهم دعوته، أرسل الله له من الجن من استجاب لدعوته بعد أن سمع القرآن من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في صلاة الفجر[55]، قال تعالى {وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا ۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ}[الأحقاف: 29]، ففيه من التسرية عن رسول الله، وفيه التعنيف والتوبيخ لمشركي قريش لما لم يستجيبوا[56].

بل أمر الله نبيه، صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، "أَنْ يُخْبِر قَوْمه أَنَّ الْجِنّ اِسْتَمَعُوا الْقُرْآن فَآمَنُوا بِهِ وَصَدَّقُوهُ لما في تلاوة كتاب الله والدعوة به من الأثر الكبير على من أراد الحق بلا تعصب وتكبر كما هو الحال مع قريش "[57]، قال تعالى {قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (1) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا} [الجن: 1- 2].

و عموما؛ فإنَّ المؤمن الحق هو الَّذِي إِذَا ذُكِرَ اللَّه وَجِلَ قَلْبه وَانْقَادَ لِأَمْرِهِ وَخَضَعَ، وَإِذَا قُرِئَتْ عَلَيْهِ آيَات كِتَابه ودعي بها صَدَّقَ وَأَيْقَنَ أَنَّهَا مِنْ عِنْد اللَّه[58]، وزاد إيمانه وقوي، وتوكل على ربه حق التوكل، قال تعالى {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} [الأنفال 2].

---

53 - تفسير ابن كثير وتفسير الطبري

54 -المرجع نفسه.

55 - كما عند البخاري ومسلم.

56 - تفسير ابن كثير وتفسير الطبري

57 -المرجع نفسه.

58 -المرجع نفسه.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المعرضون عن الدعوة. نجد في القرآن الكريم حديثا مستفيضا عن أولائك الذين أعرضوا عن الدعوة، و ابتعدوا عن طريق الهداية، وعاشوا منكرين للحق مبتعدين عنه، قال تعالى: {كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ}[الرعد: 30]، يَقُول تَعَالَى وَكَمَا أَرْسَلْنَاك يَا مُحَمَّد فِي هَذِهِ الْأُمَّة {لِتَتْلُوَ عَلَيْهِمْ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْك} يَعْنِي الْقُرْآن لِتُبَلِّغهُمْ مَا أَرْسَلْتُك بِهِ إِلَيْهِمْ مِنْ وَحْي، ولكنهم كفروا و جحدوا رحمة الله عليهم.

ولقد ألفينا القرآن الكريم يُخْبِر عَنْ تَعَنُّت الْكُفَّار مِنْ مُشْرِكِي قُرَيْش الذين لايؤمنون بالمعاد ولا يخافون العقاب؛ أَنَّهُمْ إِذَا قَرَأَ عَلَيْهِمْ الرَّسُول، صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كِتَاب اللَّه وَحُجَّته الْوَاضِحَة يدعوهم قَالُوا لَهُ: ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ إِلَى وَضْع آخَر [59]، قال تعالى: {وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ ۙ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ۖ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ} [يونس: 15].

و لقد عاقب الله تعالى هؤلاء المشركين نتيجة تعنتهم و إعراضهم عن الذكر بعد إذ جاءهم، فأخبر، سبحانه و تعالى، "وَإِذَا قَرَأْت يَا مُحَمَّد عَلَى هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الْقُرْآن تدعوهم به إلى الدين الحق جَعَلْنَا بَيْنك وَبَيْنهمْ حِجَابًا مَسْتُورٌ , يَحْجُب قُلُوبهمْ عَنْ أَنْ يَفْهَمُوا مَا تُقِرُّوهُ عَلَيْهِمْ , فَيَنْتَفِعُوا بِهِ , عُقُوبَة مِنَّا لَهُمْ عَلَى كُفْرهمْ"[60]، قال تعالى: {وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا}[الإسراء: 45].

وقال، أيضا،: {وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ}[الانشقاق[21] وَمَا لَهُمْ إِذَا قرأت هَذَا الْقُرْآن تدعوهم به لَا يَسْجُدُونَ ولا يَخْضَعُونَ وَلَا يَسْتَكِينُونَ إعْظَامًا وَإِكْرَامًا وَاحْتِرَامًا؟[61]

بل وجدنا القرآن يُرسل كما هائلا من " الآيات التي جاءت على سبيل الاستفهام الإنكاري على المكذبين بعد دعوتهم بتلاوة آيات القران لبيان خطر الإعراض وسوء عاقبته، مثل قوله تعالى:

---

59 - تفسير ابن كثير وتفسير الطبري وتفسير القرطبي.

60 - تفسير ابن كثير وتفسير الطبري.

61 -المرجع تفسه.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

{أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} [العنكبوت: 51]: "أَيْ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ آية وحجه أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْك الْكِتَاب الْعَظِيم لتدعوهم به، و تتلوه عليهم بما فيه من الآيات البيِّنات والحجج الواضحات ليكون رحمة لهم عند إيمانهم به"[62].

وقوله تعالى: {وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ۗ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}[ال عمران: 101]، "قَالَ تَعَالَى وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَات اللَّه وَفِيكُمْ رَسُوله يَعْنِي أَنَّ الْكُفْر بَعِيد مِنْكُمْ وَحَاشَاكُمْ مِنْهُ فَإِنَّ آيَات اللَّه تَنْزِل عَلَى رَسُوله لَيْلًا وَنَهَارًا وَهُوَ يَتْلُوهَا عَلَيْكُمْ وَيُبَلِّغهَا إِلَيْكُمْ وَهَذَا "[63].

يَعْنِي بِذَلِكَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ أَيّهَا الْمُؤْمِنُونَ بَعْد إِيمَانكُمْ بِاَللَّهِ وَبِرَسُولِهِ , فَتَرْتَدُّوا عَلَى أَعْقَابكُمْ {وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَات اللَّه} يَعْنِي: حُجَج اللَّه عَلَيْكُمْ الَّتِي أَنْزَلَهَا فِي كِتَابه عَلَى نَبِيّه مُحَمَّد صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقَوله تَعَالَى عَلَى جِهَة التَّعَجُّب، أَيْ {وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَات اللَّه} يَعْنِي الْقُرْآن[64].

و في قوله تعالى {أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ}[المؤمنون: 105]، ألم تكونوا تدعون بآيات الْقُرْآن حين تقرأ عليكم لتُخَوَّفُوا بِهَا فتكذبون وتعرضون؟ [65]حبل إن الله يقول فيهم وَأَيّ عِبَاد اللَّه أَظْلَم مِمَّنْ ذُكِّرَ ودعي بِآيَاتِ كتاب اللَّه فَأَعْرَضَ عَنْهَا أَيْ تَنَاسَاهَا وَلَمْ يُصْغِ لَهَا وَلَا أَلْقَى إِلَيْهَا بَالًا ونسي ما قدم من الكفر والمعاصي[66]، قال تعالى {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا}[الكهف: 57].

كانت تلكم صفات المعرضين عن الدعوة، الرافضين لسبيل الخير و الرشاد، وننتقل إلى فئة أخرى لنرى موقفها من الدعوة.

الصادون عن الدعوة. إن هذه الفئة هي من أخطر الفئات حيث إنَّها تصد الناس عن الإيمان، وتصدهم عن إتباع طريق الهدى بشتى الوسائل، قال تعالى: {إن الذين كَفَرُوا يُنْفقون أمْوالهم ليصُدُّوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون و الذين كفروا إلى جهنم يحشرون}[الأنفال: 36].

---

62 -المرجع السابق.

63 -تفسير ابن كثير.

64 -ينظر تفسير القرطبي.

65 - تفسير الجلالين و تفسير القرطبي و تفسير الطبري

66 -المرجع نفسه.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لهذا جاء التوجيه القرآني للنبي، صلى الله عليه وسلم، بأن يحرص على دعوة المقبلين على الخير، المحبين له، قال تعالى: {وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ}[الإنعام: 51]: أَيْ ادع وَأَنْذِرْ بِهَذَا الْقُرْآن الذي أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْك يَا مُحَمَّد " الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَة رَبّهمْ مُشْفِقُونَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبّهمْ وَيَخَافُونَ سُوء الْحِسَاب"[67].

بل إنَّ التوجيه الرباني يقول له: {وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذْ مِنْهَا ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ}[الأنعام: 70]، وَذَكِّرْ بِهِ أَيْ ذَكِّرْ النَّاس بِهَذَا الْقُرْآن (بدعوتهم به من خلال قراءته عليهم) وَحَذِّرْهُمْ نِقْمَة اللَّه وَعَذَابه الْأَلِيم يَوْم الْقِيَامَة، لِيُؤْمِنُوا وَيَتَّبِعُوا مَا جَاءَهُمْ مِنْ عِنْد اللَّه مِنْ الْحَقّ، فَلَا تُبْسَل أَنْفُسهمْ (تسلم وترهن للهلاك) بِمَا كَسَبَتْ مِنْ الْأَوْزَار[68].

فما عليك إلا أن تبلغ رسالة ربك للناس، و لا تلتفت لهؤلاء الصادين عن الدعوة، فالله أعلم بما يقولون و بما يمكرون، قال تعالى: {نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ۖ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ ۖ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ}[ق: 45]: أَيْ بَلِّغْ أَنْتَ رِسَالَة رَبّك (بقراءة كتابه على من تدعوهم) فَإِنَّمَا يَتَذَكَّر مَنْ يَخَاف اللَّه وَوَعِيده وَيَرْجُو وَعْدَهُ (تفسير ابن كثير)قَالَ اِبْن عَبَّاس: قَالُوا يَا رَسُول اللَّه لَوْ خَوَّفْتنَا فَنَزَلَتْ: " فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَاف وَعِيد "[69].

و اضرب لهم الأمثال علهم يعقلون أو ينتهون عما يفعلون، {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ} [الأعراف: 175]: "وَاتْلُ" يَا مُحَمَّد على قومك وقيل (اليهود) من القرآن داعياً ومذكراً بخَبَر "الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا" خَرَجَ بِكُفْرِهِ كَمَا تَخْرُج الْحَيَّة مِنْ جِلْدهَا قال بعض المفسرين إنَّه رجل من بني إسرائيل [70].

---

67 -تفسير ابن كثير وتفسير الطبري.

68 -المرجع نفسه.

69 -تفسير القرطبي.

70 - تفسير الجلالين، تفسير الطبري.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

و يمكن أن نجمل نماذج الصادين عن الدعوة في القرآن الكريم في هذا المخطط البياني:

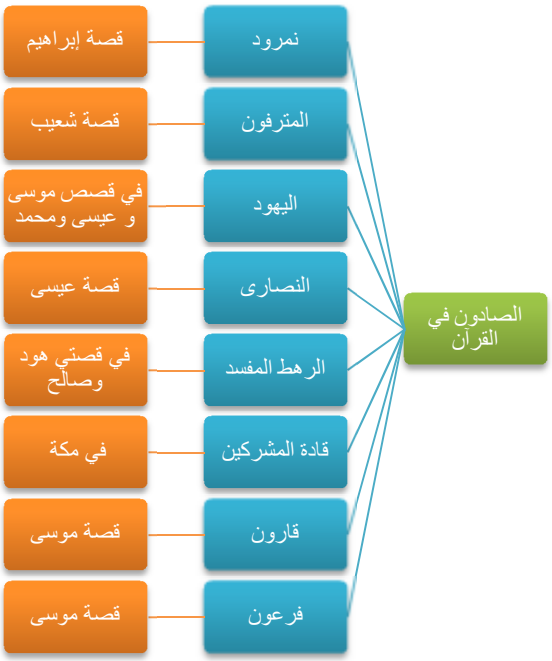

هم هؤلاء نماذج الصادين عن الدعوة كما بين القرآن صفاتهم و مكرهم، فإما أن يكون صدهم:

- ✓ لحب الملك و السيطرة.
- ✓ لحب المال و الثروة و الخوف من زوالها.
- ✓ لعنادهم و تكبرهم.
- ✓ لعلمهم بالحقيقة و جحودها. . .

المبحث الثامن: نماذج من الدعاة:

المطلب الأول: الأنبياء والرسل.

تنزّلت الآيات التي تشرح قصص الأنبياء منذ بداية الدعوة الإسلاميّة؛ لأنه مهما اختلفت العصور والأماكن، فإن الرسالة التي نزلتْ عليهم جميعًا واحدة، وهدفها واحد؛ وهو إخراج الناس من الظلمات إلى النور، وهدايتهم إلى طريق الحقّ تبارك وتعالى، فكان القرآن واضحًا غاية الوضوح في بيان حقيقة العَلاقة بين الرسل جميعًا[71]؛ حيث قال تعالى: {إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا * وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا} [النساء: 163، 164].

71 - ينظر: محمد فؤاد عبد الباقي: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص218، 494، 666، 680.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فيتحدّث القرآن المكّيّ، مثلا، عن تكريم موسى، عليه السلام، فيقول: {وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ} [القصص: 14]، ويقول أيضًا: {إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ} [الأعراف: 144]، ومثال ذلك كثير جدًّا في القرآن الكريم.

وتجد القرآن المكّيّ، أيضا، يُمَجّد قصّت عيسى عليه السلام في أكثر من موضع، فيذكر على سبيل المثال: {قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا * وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا} [مريم: 30-33]. ويقول أيضًا: {وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ} [الأنعام: 85].

واستمرّ الوضعُ، على هذا التكريم والتبجيل، في فترة المدينة، على ما كان فيها من صراعات وخلافات مع اليهود والنصارى، وعلى ما حدث من تكذيبٍ مستمرٍّ منهم، إلاّ أن المديح الإلهي للأنبياء الكرام استمرّ دونما انقطاع؛ فربنا يذكر موسى وعيسى عليهما السلام كاثنين من أُولي العزم من الرسل، فيقول سبحانه في حقّهما: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا} [الأحزاب: 7].

فإذا أخذنا في الاعتبار أن هذه السورة -وهي سورة الأحزاب- قد نزلت بعد خيانة يهود بني قريظة للمسلمين، ومحاولتهم استئصال كافّة المسلمين من المدينة؛ أدركنا مدى التكريم الإلهي لموسى وعيسى عليهما السلام - وهما من أنبياء بني إسرائيل - وأدركنا كذلك مدى الأمانة التي اتّصف بها رسول الله؛ إذ ينقل تكريم الله لهؤلاء الأنبياء العظام على رغم خيانة أقوامهم وأتباعهم.

وعلى الرغم من قناعتنا أن رسول الله هو أفضل البشر وسيّد الخَلْق، إلاّ أن القرآن الكريم يأمرنا بالإيمان بجميع الأنبياء دون تفرقة بينهم؛ فيقول الله يصف الإيمان الأمثل الذي يجب أن تتحلّى به أُمّة الإسلام: {قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} [البقرة: 136].

"هذا هو الإسلام في سعته وشموله لكل الرسالات، وفي ولائه لكافّة الرسل، وفي توحيده لدين الله كله، ورَجْعِهِ جميع الرسالات إلى أصلها الواحد، والإيمان بها جملة كما أرادها الله لعباده"[72]

كما أن القرآن يعدُّ تكذيب رسول واحد من الرسل تكذيبًا لجميع الأنبياء والمرسلين؛ لقول الله تعالى: {كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ} [الشعراء: 123]، وقوله: {كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ}[الشعراء:

[72] - سيد قطب: في ظلال القرآن 423/1.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

105]، ونحن نعلم بأنّ "قوم نوح لم يُكَذِّبوا إلاّ نوحًا، ولكن الله يذكر أنهم كذّبوا المرسلين، فالرسالة في أصلها واحدة، وهي دعوة إلى توحيد الله، وإخلاص العبودية له، فمَنْ كَذّب بها فقد كَذّب بالمرسلين أجمعين، فهذه دعوتهم أجمعين"[73]، هذه هي الخلفية التي كان يضعها رسول الله في ذهنه عند الحديث عن الأنبياء والمرسلين.

المطلب الثاني: المصلحون: القرآن الكريم حافل بالحديث عن المصلحين الذين نهضوا بواجب الدعوة إلى الله تعالى، قال تعالى: {وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ (13) إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ(14) قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ (15) قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ (16) وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (17) قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (18) قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ ۚ أَئِن ذُكِّرْتُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ (19) **وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ** (20 (اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ (21)وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (22) أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنقِذُونِ (23)إِنِّي إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (24) إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ (25) قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (26) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ(27) }[يس: 13-27]

و عندما ندقق النظر في وقوله تعالى: {وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى}، جاء من أقصى مدينة هؤلاء القوم الذين أرسلت إليهم هذه الرسل رجل يسعى إليهم؛ وذلك أن أهل المدينة هذه عزموا، واجتمعت آراؤهم على قتل هؤلاء الرسل الثلاثة فيما ذكر، فبلغ ذلك هذا الرجل، وكان منـــزله أقصى المدينة، وكان مؤمنًا، وكان اسمه فيما ذكر " حبيب بن مري"[74].

وهذا يدل دلالة قاطعة على أن المصلحين منذ القدم فهموا فهما عميقا ما للدِّعوة من فوائد في نشر الخير، وزرع الفضيلة في المجتمع، مما يعوق دعة الرذيلة و يوقفهم عن غيهم، قال تعالى: " ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ". و قوله تعالى: " وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ".

ولقد فهم المصلحون، أيضا، ضرورة الحضّ على الدّعوة على نحوٍ مستمرٍ، قال تعالى: " قُلْ هَـــذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ"، فهم

---

[73] -المرجع تفسه، 356/5.

[74] -تفسير الطبري.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يدعون إلى الله في جميع الظروف والأحوال، {وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ}[غافر: 28]فقي قوله: " وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ " اختلف أهل العلم في هذا الرجل المؤمن، فقال بعضهم: كان من قوم فرعون، غير أنه كان قد آمن بموسى, وكان يُسِرّ إيمانه من فرعون وقومه خوفا على نفسه.

بل؛ إنّ القرآن لفت أنظار الدّعاة إلى قدوتهم وأسوتهم في الدّعوة إلى الله ومخاطبة النّاس بها وهو محمدٌ، صلّى الله عليه وسلم، وفي هذا أبلغُ الأثر إلى تنبيه المصلحين لعدم اتخاذ أيّ أحدٍ من النّاس قدوةً لهم وأسوةً يتأسّون به سوى رسول الله، صلّى الله عليه وسلم، ومَنْ اقتفى أثره والتزم بهديه قال تعالى: {لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللّهَ كَثِيراً}بالأحزاب: 21]، وهذا التوجيه الربّاني إنما هو عامٌ لجميع المسلمين، ولكنّهُ في حقّ المصلحين إلى الله أوثق وأوجب.

المبحث التاسع: ثمرات الدعوة.

الخاتمة: أهم النتائج والتوصيات.

لقد حاول هذا البحث تتبع كلمة الدعوة في القرآن الكريم من خلال الخطة المرسومة، وخلص لجملة

من النتائج و التوصيات نجملها في النقاط التالية:

- ✓ لقد بيَّن القرآن الكريم جملة من وسائل الدعوة الواجب على الدّعاة الأخذ بها وتطبيقها في دعوتهم، ومن ذلك قوله تعالى: " ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ".
- ✓ أن الدعوة تتسم بصفة الربانية في جميع أمورها وشؤونها ومتعلّقاتها، وليس مُحرِّفة أو بشرية أو ملحدة، لأنها ربانية في منبعها و تشريعها و غايتها.
- ✓ و هي تتسم، أيضا، بالفطرية لكونها تخاطب الناس بما يوافق ميولاتهم، وما يناسب خِلقةَ الإنسان، لهذا اعتمد على الأساليب الدعوية الثلاثة التي اشرنا غليها في متن البحث.
- ✓ و مما يلاحظ على الدعوة في القرآن أنها قد بلغت من الكمال والحسن والنّفع والصّلاح الذي لا سبيل إلى الصّلاح بغيرها.
- ✓ والمتأمل في رسالة الإسلام و الدعوة إليه، يجد أنها تتميز عن كلّ ما عرفه الناس من الأديان والفلسفات والمذاهب، بكلّ ما تتضّمنه كلمة الشّمول من معانٍ وأبعادٍ، وأنه شمول يستوعب الزّمن كلّه، ويستوعب الحياة كلّها، ويستوعب كيان الإنسان كلّه.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

- ✓ و من خصائص الدعوة في القرآن الكريم أنها تتصف بالشمول لكونها تحيط بكلّ احتياجات الإنسان، ووفائها لكل متطلّبات عمليّة التبليغ، مع التكفّل ببيان مستلزمات الدّين من عقيدةٍ وشريعةٍ ومعاملاتٍ وأحكامٍ وحدودٍ وأخلاقٍ وآداب وعلاقات مع الآخرين، مِمّا يوجب عدم النظر والاحتياج من أصحاب العقائد والشّرائع والاتجاهات الفكرية الأخرى.
- ✓ اشتملت الدعوة، من خلال ما رأينا من نماذج الدعاة و تعريفاتها، على كل أوصاف الخير ومحمود الصفات وعلوّ القيمة وفضل الهدف، والتزام الطّريق المستقيم في دلالة النّاس على الدّين وطلب دخولهم فيه، مع البعد تماماً عن أي انحرافٍ أو شططٍ أو غلوٍّ.
- ✓ و من أبرز خصائص الدعوة أنها تنشد بناء مجتمع صالح من خلال إتباع طريق الحقّ، وبناء الحياة بناءً مُحكَماً، والاعتدال في النّظرة، والتّوجه في دعوة النّاس بتناسق، من خلال الالتزام بالكتاب والسنّة النّبويّة، و اقتفاء أثر الأنبياء و الصالحين ومَنْ تبعهم بإحسان، والمواءمة بين مطالب الرّوح والجسد، و إنزال الأمور منازلها الصحيحة دون شطط، و البعد عن الغلوّ والتطرّف.
- ✓ مخاطبة منهج الدّعوة الإسلامية لجميع أصناف العالم، وإرادة الخير لكّل النّاس، بما يحمله هذا الدِّين من مضامين عالميّة صالحة لكلّ زمان ومكان.
- ✓ والمتأمّل في النّصوص من الكتاب والسنّة يجد العديد من الأدلة على عالميّة هذا المنهج، كما تشهدُ بذلك مسيرة منهج الدّعوة واتساع رقعة المجتمعات الإسلامية، وامتداد المسلمين وتكاثرهم في جميع بقاع العالم المعاصر.
- ✓ ومن النّصوص المتعددة نشير إلى قوله تعالى: {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً}. والمتأمل في منهج الدّعوة الإسلاميّة يجد أنّه متضمّنٌ لكلّ مقوّمات العالميّة، والتي لا يحدّها حدّ، سواء تعلّقت بالكتاب والسنّة أو ببشارات الكتب السّابقة، أو من حيث المرسل والرّسالة، أو من حيث جانب المكان والزّمان أو من حيث مخاطبتها لجميع البشر وللعقل والفكر الإنساني عامّة في أي زمان ومكان. كما أن عالميّة منهج الدّعوة تتّضح من خلال هيمنتها وتفوّقها على غيرها من الدّعوات السّابقة.
- ✓ المقصود بالخاتمة في الدعوة انتهاء جميع الدّعوات بدعوة الإسلام، وعدم شرعيّة أيّة دعوة بعدها، وكون منهج الدّعوة آخر المناهج وأعظمها هيمنةً لصلاحه وفضله.
- ✓ والمتأمل في النصوص يجدُ ما يدّل على كون دعوة الإسلام ومنهجها خاتمة الدّعوات والمناهج، ومن ذلك: قوله تعالى: {مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـكِن رَّسُولَ اللّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً}.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

- ✓ الدعوة الإسلامية، كما رسمها القرآن الكريم، دعوة إلى الإسلام نفسه، دعوة إلى إنقاذ البشرية من الهلاك والضياع والتيه في الظلمات، والسير في ركب الشيطان وأتباعه، ودعوة إلى تحقيق سيادة ملك الله في الأرض وفي دنيا الناس: {أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ}[إبراهيم: 5].
- ✓ إنها ليست دعوة لقمع البشرية واستعبادها[75]، والسيطرة على مقدرات الشعوب وأقواتها، ونهب أموالها وممتلكاتها، كما فعلته في القرون المتأخرة الشيوعية الخبيثة المادية، بأفكارها ومعتقداتها الإلحادية الكافرة، أو كما تفعله أمريكا وأوربا بمباركة وتخطيط يهودي صليبي ماكر، أو حتى ما يفعله أرباب الأموال والثروات من الهنود واليابانيين والصينيين.

وخلاصة الأمر فإن المتأمّل في القرآن الكريم يجد أن طريق الدعوة واضح وبيّنٌ أتمّ بيان، وأن البشرية لا ينقذها مما هي فيه من غبن و ضيق إلا بالعودة إلى هذا المنهج القويم، لكونه ليس فيه إبهام أو خفاء أو لبس أو أسرار، بل إنّ الله تبارك وتعالى قد وصف كتاب الدّعوة بأنه واضح ومبين؛ قال تعالى: {الرَ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ}، كما وصف الله تعالى الدِّينَ الذي أرسل به رسوله محمداً، صلّى الله عليه وسلم، بأنّهُ بيّن وواضح وليس فيه غموض، كما قال سبحانه: {هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُمْ مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ}.

وكما أن دين الإسلام واضح فإنّ الدّعوة إليه والطّرق الموصلة إلى النّاس من خلال الأساليب والوسائل المتنوّعة لابدّ أن تكون واضحةً كذلك، "وهكذا نلمس الحكمة و المعجزة البليغة من دعوة القرآن، و في ترتيب القرآن في المصحف و مافيه من دلالة على أنه دستور أمة استكملت مقوماتها، وبقي عليها أن تدرك أسلوب العمل الديني و السياسي في العالم على هدى هذا الترتيب. "[76]

فهو دعوة إلى قيادة البشرية بمنهج الله تعالى الخالد الباقي إلى يوم الدين، وإفراده سبحانه بالعبادة والتشريع دون من سواه من المخلوقات: {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ} [الصف: 9].

وقال جل ثناؤه: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} [آل عمران:

---

75 -ينظر: عاطف عبد العز الفيومي، ماذا تعني الدعوة الإسلامية؟ وما حقيقتها؟، / http: //www. alukah. net/sharia/0/49386

76 -عظمة القرآن، عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى 1984م ص154

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

64]. وقال سبحانه: {إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ للهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ} [يوسف: 40].

بل إن المتأمل في سورة الحديد مثلا يدرك أنه "يقصد منه هذه السورة الدعوة إلى الإيمان بالله و رسوله و الإنفاق في سبيله، وقد ذُكرت هذه السورة بعد السورة السابقة لأنها ختمت بأمر النبي صلى الله عليه وسلم بتسبيح ربه العظيم، فجاءت هذه السورة بعدها و أولها في بيان أن كل مافي السماوات و الأرض يسبح بحمده"[77].

فلا معبود بحق إلا الله تعالى، فهو المتفرد بالوحدانية، قال عز وجل: {مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ * قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ مَا لاَ يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلاَ نَفْعًا وَاللهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [المائدة: 75، 76]. وقال تعالى: {وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلاَئِكَةِ أَهَؤُلاَءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ * فَالْيَوْمَ لاَ يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلاَ ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ} [سبأ: 40-42].

و في نهاية هذا البحث تأكد لدي، بأنَّ الدعوة ضرورة لحياة البشر، فهي أفضل لهم من الهواء و الطعام و الشراب؛ بل هي أفضل من الحياة الدنيا بأكملها، وذلك لأنَّ الحياة الدنيا حياة قصيرة فانية، و أنَّ الدعوة تجعل الإنسان يحيى حياة سعيدة في الدنيا بالرجوع إلى منهاج الله تعالى، و يحيى حياة أبدية خالدة يوم القيامة إذا ظل متمسكا بدينه.

[77] -النظم الفني في القرآن، عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب القاهرة 1992م ص305

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

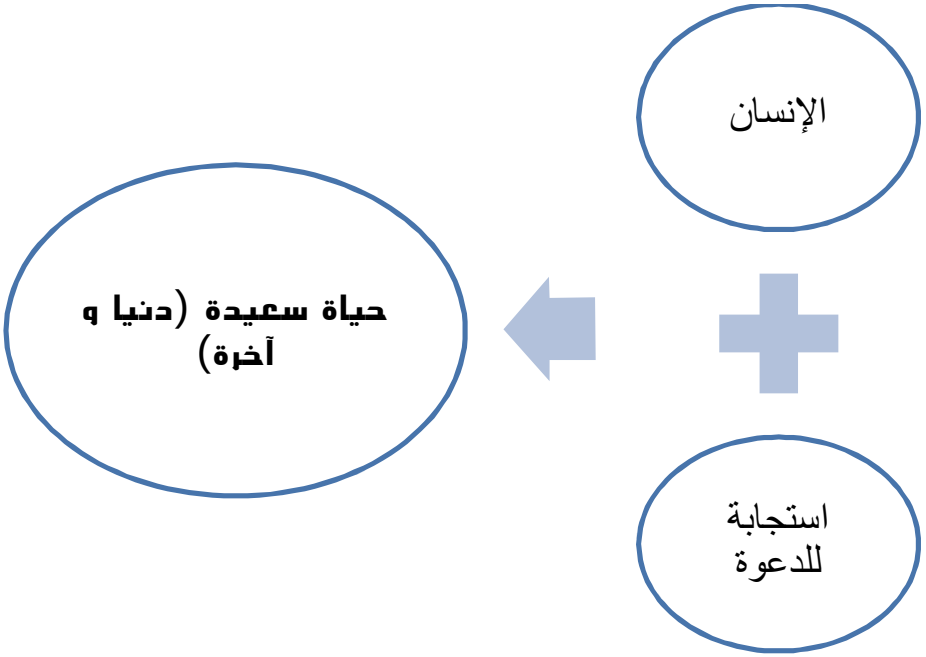

هذه هي القاعدة التي استنبطها البحث.

وبعدُ فهذا جهد المُقل، فإن بلغَ غايته من الصّواب فبتوفيق من الله وحده، فله الحمد والمنّة، وإن أخطأت فمن نفسي ولا حول ولا قوّة إلا بالله، وحسبي حسن نيتي، والله لا يضيع أجر المحسنين، وأسألُ اللهَ الكريمَ أنْ يتقبلَ هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم. .

الدكتور بن يحيى ناعوس

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع، وبرواية حفص عن عاصم.

1. ابن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم، ، مؤسسة الرسالة، سنة النشر: 1422هـ / 2001م، رقم الطبعة: ---، عدد الأجزاء: جزءان.
2. ابن منظور الإفريقي، أبو الفضل جمال الدين بن محمد، لسان العرب، دار صادر، ط3، بيروت، 1414هـ - 1994م
3. أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، دار الجيل، سنة النشر: 1420هـ / 1999م، رقم الطبعة: ---، عدد الأجزاء: ستة أجزاء.
4. أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ابن منظور)، لسان العرب، دار صادر، سنة النشر: 2003م، رقم الطبعة: ---، عدد الأجزاء: خمسة عشر جزءا.
5. أبوداود، سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني، سنن أبي داود (ت: الأرناؤوط)، المحقق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، حالة الفهرسة: مفهرس على العناوين الرئيسية، الناشر: دار الرسالة العالمية، سنة النشر: 1430 - 2009، عدد المجلدات: 6، رقم الطبعة: 1.
6. الإمام أحمد، مسند الإمام احمد، ط الرسالة، بدون تاريخ.
7. إسماعيل بن حماد الجوهري تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار الصّحّاح في اللغة، الناشر: دار العلم للملايين الطبعة: الرابعة 1990المجلدات: 7.
8. إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي أبو الفداء عماد الدين، تفسير القرآن العظيم، المحقق: سامي بن محمد السلامة، حالة الفهرسة: مفهرس على السور، الناشر: دار طيبة، سنة النشر: 1420 - 1999، عدد المجلدات: 8.
9. أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ)، الجامع لأحكام القرآن، المحقق: هشام سمير البخاري، الناشر: دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: 1423هـ/ 2003م.
10. السيد سابق، عناصر القوة في الإسلام، مكتبة وهبة للطباعة والنشر، بدون تاريخ.
11. سيد قطب: في ظلال القرآن في ظلال القرآن: سيد قطب، دار الشروق، القاهرة/بيروت، ط26، 1997/1418م.
12. عاطف الفيومي مجالات الدعوة في القرآن وأصولها"؛ مكتبة أولاد الشيخ للتراث.
13. عبد القادر عطا، عظمة القرآن، دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى 1984م

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

14.د. عبد الكريم زيدان. أصول الدعوة"؛ عنوان الكتاب: أصول الدعوة، حالة الفهرسة: غير مفهرس، سنة النشر: 1396 – 1976، عدد المجلدات: 1، رقم الطبعة: 3.
15.عبد المتعال الصعيدي، النظم الفني في القرآن، مكتبة الآداب القاهرة 1992م.
16.د. عبد النعيم محمد حسنين، الدعوة إلى الله على بصيرة، دار الكتاب المصري القاهرة الطبعة الأولى 1984م
17.عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، أحاديث الأحكام، دار الفكر، سنة النشر: 1414هـ/1994م، رقم الطبعة: -، عدد الأجزاء: ثمانية أجزاء.
18.مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد (ابن الأثير)، النهاية في غريب الحديث والأثر، المكتبة العلمية، سنة النشر: -، رقم الطبعة: ---، عدد الأجزاء: خمسة أجزاء.
19.محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر، الطبري (المتوفى: 310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م، عدد الأجزاء: 24.
20.محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، دار ابن كثير، سنة النشر: 1414هـ / 1993م، رقم الطبعة: ---، عدد الأجزاء: سبعة أجزاء.
21.محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تفسير القرطبي، دار الفكر، سنة النشر: -، رقم الطبعة: ---، عدد الأجزاء: عشرون جزءا.
22.محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري أبو عبد الله، المستدرك على الصحيحين (ط. العلمية)، المحقق: مصطفى عبد القادر عطا، حالة الفهرسة: مفهرس على العناوين الرئيسية، الناشر: دار الكتب العلمية، سنة النشر: 1422 – 2002، عدد المجلدات: 5، رقم الطبعة: 2.
23.محمد رشيد رضا، تفسير المنار، الهيئة المصرية للكتاب، سنة النشر: -، رقم الطبعة: --، عدد الأجزاء: اثنا عشر جزءا.
24.محمد فؤاد عبد الباقي: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. الناشر: دار الكتب المصرية، سنة النشر: 1364، عدد المجلدات: 1.
25.محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون، سنة النشر: -، رقم الطبعة: ---، عدد الأجزاء: خمسة عشر جزءا.
26.محمد الغزالي، خلق المسلم، درا الشهاب، الجزائر، دون تاريخ.
27.مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، دار إحياء الكتب العربية، سنة النشر: -، رقم الطبعة: --، عدد الأجزاء: خمسة أجزاء.